مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثامن عشر / رجب - رمضان ١٤٢٧هـ أغسطس - أكتوبر ٢٠٠٦م

١٨

- بحوث المدينة المنورة بين الواقع والتطلع
- دراسة صحية لوجبة إفطار الصائمين المقدمة من المبرات الخيرية بالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة
- من النباتات الطبية في المدينة المنورة : البشـــام
- غاز الرادون وضرورة تحديد تركيزه في بيئة المدينة

الاستراتيجيات الغربية في توظيف ثقافات دول العالم الثالث من خلال وسائل الإعلام

د. خالد بن علي أبو الخير

رئيس قسم الإعلام - جامعة طيبة

مقدمة

إن وسائل الإعلام عبارة عن آلات ومعدات وأدوات وأوراق وأصوات لا تخرج عن ذلك أبداً ، لكن تتميز هذه الوسائل بأنها محسنات وموصلات لما يدخل فيها من أفكار وكتابات ؛ فاستخدام الحركة في الصورة واستخدام الألوان في المجلة والصحيفة واستخدام الهاي فاي والدجتال لتحسين الصوت ، كل ذلك عبارة عن محسنات يمكن أن تستخدم لتدعيم برنامج أو مجلة دينية بنفس القدر الذي يمكن أن تستخدم لتدعيم برنامج راقص أو برنامج سياسي أو فلم درامي . ولذا حرص صاحب كل فكر يريد استخدام وسائل الإعلام أن يبحث عن كل جديد في عالم هذه الوسائل الواسع كيما يجذب أكبر قدر من الجمهور لمشاهدة فلمه أو برنامجه أو قراءة كتابه أو صحيفته . وتسارعت الشركات العالمية المصنعة لهذه الوسائل في إخراج كل جديد حتى أصبح يحول الحول على جهاز الفيديو أو التلفاز أو الراديو وقد أنتج أحدث منه بمراحل خلال ذلك العام فقط .

وحرصت الدول التي تعمل هذه الشركات العالمية المصنعة لوسائل الإعلام فيها أن تكون لها يد في توجيه صناعة هذه الوسائل وتوزيعها على

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

دول العالم بشكل عام ودول العالم الثالث بشكل خاص . فالإعلام أصبح اليوم مع الاقتصاد وتجارة بيع الأسلحة أحد أهم الأعمدة التي تقوم عليها علاقات الشمال بدوله الغربية مع علاقات الشرق الآسيوي والجنوب الإفريقي .

وفي هذه الدراسة سنحاول كشف أهم الاستراتيجيات التي استخدمتها الدول الغربية في توظيف ثقافات دول العالم الثالث بشكل عام ودول الشرق المسلم بشكل خاص.

أسباب اختيار الموضوع :

يلعب الإعلام دوراً كبيراً في نقل الثقافات والأخبار بين شعوب العالم من خلال أشكال برامجية أو مقالات صحفية أو مؤلفات مترجمة ، ومن المفترض أن تكون حركة النقل الثقافي متوازنة بين الأمم حتى لا تطغى ثقافة على ثقافة وحتى تحافظ الأمم على موروثاتها الحضارية والفكرية والأخلاقية ، إلاّ أن الواقع يكذب هذه المعادلة المتساوية .

فالمساحات الإعلامية في حركة النقل الثقافي لا توزع بل تأخذ بحسب القناعة والقدرة والرغبة في نشر الثقافة لمجموعات دولية (كدول الغرب مثلاً) يقابلها عدم القناعة وعدم القدرة وكذلك عدم الرغبة في نشر الثقافة لمجموعات دولية أخرى (كدول العالم الثالث مثلاً) .

هذه القناعة بسمو الثقافة التي تملكها هذه الدول مع القدرة على امتلاك الوسائل الإعلامية الخاصة بنقل الثقافة وتسويقها مع وجود الرغبة أصلاً في نقل حضارة وثقافة هذه الدول إلى دول أخرى أوجدت سيلاً من قنوات الانفتاح على هذه المجتمعات ، وبات المواطن في دول الاستقبال متسقاً في تركيبته الثقافية مع الثقافة المستقبلة ، ولم يعد الخلط بين

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الثقافتين الموروثة والمستقبلة أمراً يشغل باله بل أصبح السؤال : أيهم يلبس في هذا الموقف وأيهم يخلع في ذاك الموقف ؟ وأيهم يخلع في ذاك الموقف ؟

إذا وصل مواطن دول الاستقبال إلى هذه الحالة من التساؤل يكون الإعلام المرسل قد حقق نتائجه في توظيف ثقافته لتغيير عادات وسلوكيات مجتمعات أخرى إلى عادات وسلوكيات المجتمعات المرسلة .

لكن هل هي بهذه السهولة أن يتم تحويل ثقافات أمم إلى ثقافات أخرى بعيدة عنها آلاف الأميال دون استعمار عسكري أو فرض سياسي ؟، وهل المسألة مسألة أشهر عديدة أم عقود من السنوات ؟ ، ثمّ إن كان الأمر كذلك فما هو الحل ؟ .

هذه بعض أهم الأسئلة التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنها والتي كانت سبباً في اختيار هذا الموضوع ، فالإعلام أصبح لاعباً أكبر في لعبة توظيف الثقافات بعد أن كان الاستعمار العسكري في القرن الماضي وبداية القرن الحالي اللاعب الأكبر (مثال الجزائر) وكذلك كان الدور للانقياد السياسي لإحدى الكتلتين الشرقية والغربية بعد الحرب العالمية الثانية الدور الأكبر في فرض ثقافة إحدى الكتلتين على شعوب دول العالم الثالث ، ولما خلت الساحة من العاملين السابقين إلى حد كبير حُمِّل المواطن العادي الدور الأكبر في استقبال الوافد الثقافي ، وصار السؤال من سيوظف من لصالحه ؟ .

الثقافة الوافدة توظف المواطن لصالح ثقافتها أم أن المواطن يوظف الثقافة الوافدة لتغيير تخلفات اجتماعية وثقافية موجودة في موطنه ؟

وسيصبح الخطر أكبر عندما تبدأ محطات التلفزيونات الغربية في بث قنوات فضائية موجهةٍ باللغات المحلية لدول العالم الثالث كما فعلت هذه الدول من قبل عندما بثت الإذاعات الموجهة باللغات المحلية كإذاعة بي بي سي (لندن) وصوت أمريكا ومونت كارلو .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وسيحاول الباحث من خلال هذه الدراسة استيضاح الإستراتيجيات الغربية في إحكام القبضة على وسائل الإعلام في دول العالم الثالث .

فالباحث يرى أن تناول مثل هذه الموضوعات الاستشرافية أمرٌ ذو أهمية لمستقبل دولنا وأن مثل هذه الدراسات ستنبه المسؤولين عن الإعلام في دول العالم الثالث إلى أن الخطر سيكون أكبر من مجرد أغنية أو رقصة خليعة فالأمر غرس ثقافة وفكر وتغيير عادات وسلوك اجتماعي لمجتمعات بأكملها ، ودور التلفزيون وتأثيره فاق الوسائل الإعلامية الأخرى في تغيير العادات والسلوك .

مشكلة الدارسة تتحدد مشكلة الدراسة في مجموعة من الفرضيات يعتقد الباحث أن الدراسة ستثبتها أو تنفيها وهي :

- تفترض الدراسة أن هناك إستراتيجيات عامة تتفق عليها الدول الغربية المتقدمة تكنولوجياً في التحكم في نشر تكنولوجيا وسائل الإعلام إلى دول العالم الثالث .

- تفترض الدراسة أن الشركات المالكة للأقمار الصناعية أو الوكالات الحكومية التي لديها صواريخ إطلاق الأقمار الصناعية لديها سياسات خاصة في التعامل مع دول العالم الثالث ، وأن مبدأ توافر المال اللازم لا يؤدي بالضرورة إلى تملك هذه الدولة أو تلك (من دول العالم الثالث) قمراً صناعياً أو السماح لها بإطلاقه على صواريخ إحدى الدول المالكة لمنصات إطلاق الصواريخ .

- تفترض الدراسة أن سياسة وكالات الأنباء العالمية في بث الأخبار إلى الصحف والإذاعات والتلفزيونات في دول العالم الثالث بكم هائل وبسعر لا يمكن منافسته يهدف إلى إضعاف وكالات الأنباء المحلية في دول العالم الثالث واحتكار سوق نقل الأخبار .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- تفترض الدراسة أن اعتماد الفلم الأمريكي على السوق المحلي الأمريكي في الحصول على الربحية ساعد في نشر الفلم الأمريكي في جميع دول العالم بسعر رخيص لا يمكن منافسته ، واستطاع بذلك الحصول على نصيب الأسد في معظم تلفزيونات العالم ودول العالم الثالث على وجه الخصوص .

- تفترض الدراسة أن القنوات الفضائية الغربية الموجهة باللغات الغربية لم تنجح في استقطاب المشاهد العادي في دول العالم الثالث لوجود عاملين، الأول اختلاف اللغة والثاني وجود قنوات فضائية إقليمية ناطقة باللغات المحلية لدول العالم الثالث .

- تفترض الدراسة أن الدراسات الأولية التي أجرتها الدول الغربية لبث قنوات فضائية غربية باللغات المحلية لدول العالم الثالث والتي أكدت نجاح هذه القنوات وتفوقها على القنوات المحلية ، دراسات منطقية ومبنية على خبرة سابقة في مجال الإذاعات الموجهة باللغات المحلية .

الأسئلة البحثية التي تهدف الدراسة إلى الإجابة عنها :

يمكن استخلاص مجموعة من الأسئلة البحثية من الافتراضات التي أسلفناها وهي :

- هل هناك إستراتيجيات غربية في التحكم في بيع ونشر التكنولوجيا لدول العالم الثالث.

- هل هناك تحكم في توزيع موجات البث الإذاعي بين الدول الغربية ودول العالم الثالث.

- من يمتلك الأقمار الصناعية ، وهل يتحكم في بيعها أم أنها متروكة للعرض والطلب ؟

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- كيف يتم استئجار القنوات الفضائية ، وهل يرفض طلب تأجير لأسباب سياسية أو دينية أو غيرها ؟
- كيف أصبح العالم يعتمد على عدد محدود من وكالات الأنباء العالمية (الغربية) وكيف أثر ذلك سلباً على وكالات الأنباء المحلية ؟
- ما هي السياسات التي اتبعتها شركات إنتاج الأفلام الأمريكية في تسويق الفلم الأمريكي محلياً وعالمياً ؟
- لماذا ترجمت شركات أفلام الكرتون أفلامها إلى اللغات الأخرى خلال العقد الماضي بعد أن كانت تباع باللغة الإنجليزية ؟
- ما هي الأهداف المعلنة للقنوات الفضائية الغربية الموجهة لدول العالم الثالث بلغات الدول المرسلة ؟
- ما هي الأهداف المعلنة للقنوات الفضائية الغربية الموجهة لدول العالم الثالث باللغات المحلية ؟
- لماذا تحرص الدول الغربية على توسيع نطاق بثها الإذاعي في دول العالم الثالث ؟

منهج الدراسة هذه الدراسة قائمة على المنهج الاستقرائي والذي يعتمد على مراجعة مجموعة الوثائق والمؤلفات في مجال أنظمة التحكم في نشر التكنولوجيا الإعلامية من الدول الغربية لدول العالم الثالث وكذلك مراجعة أساليب نشر الفلم الأمريكي والدراسات الخاصة بتأثير الإذاعات الغربية الموجهة لدول العالم الثالث كما ستذكر الدراسة مجموعة الآراء التي تؤكد نجاح البث الفضائي الغربي المباشر باللغات المحلية لدول العالم الثالث .

كل ذلك سيكون منهج الباحث في استقراء الاستخدام الإعلامي الغربي لوسائل الإعلام خلال العقود الماضية ، مما سيعني بالضرورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحديث عن التطور التاريخي لبعض هذه الوسائل الإعلامية أو التطور التاريخي لاستخدام الإستراتيجيات بهدف الاستعراض التاريخي.

ثم سيقوم الباحث باستخدام المنهج الاستقرائي في الوصول إلى تأكيد فرضيات الدراسة أو نفيها بعد تحليل النتائج .

الدراسات السابقة هناك العديد من الدراسات التي تطرقت إلى أجزاء من عنوان البحث من منطلقات مختلفة إعلامية ، وسياسية ودينية ، ولكن على حد علم الباحث لم يتطرق أحد من حيث المجموع الإعلامي السياسي الديني معاً . كما أن هذه الدراسة ستركز على استخدام الماضي في استشراف المستقبل المتوقع للإعلام الغربي في دول العالم الثالث ، وهذه ميزة إضافية لهذه الدراسة لم يجدها الباحث في غيرها من الدراسات على حد علمه .

اطلع الباحث على العديد من الدراسات التي تطرقت إلى جوانب من هذه الدراسة وسيقوم الباحث باستعراض الدراسات الواردة في الموضوع ويوضح الفارق بينها وبين هذه الدراسة من حيث الاتفاق والاختلاف :

١ - قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في دول العالم الثالث[1]:

دراسة تحدثت فيها د. عواطف عبد الرحمن عن الخريطة الإعلامية في دول العالم الثالث ومدرسة التبعية الاقتصادية والإعلامية والثقافية في تلك الدول . كما درست تطبيقات التبعية على الصحافة العربية والإفريقية وآفاق الاستقلال الإعلامي في دول العالم الثالث في ظل النظام الإعلامي العالمي الجديد .

والدراسة في نظر الباحث عالجت كثيراً من جوانب العلاقة بين

(١) د. عواطف عبدالرحمن، قضايا التبعية الإعلامية الثقافية في دول العالم الثالث، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٤هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشمال والممثل فيه دول الغرب والجنوب والذي يحوي دول العالم الثالث وقد ركزت الدراسة على الصحافة وأبدعت في تصور علاقة الارتباط بين الإعلام الغربي والإعلام النامي في دول العالم الثالث خصوصاً في المجال الصحفي . والدراسة تعود إلى عام ١٤٠٤ .

وستركز دراسة الباحث على الإستراتيجيات العامة لجميع وسائل الإعلام وليس الصحافة فقط كما أن الباحث سيحدث بعض المعلومات التي وردت في هذه الدراسة .

٢ - KNOWLEDGE TRANSFER[١]

هذه الدراسات التي ضمها عنوان مؤتمر [**نقل المعرفة**] والذي عقد في صيف ١٩٩٦ في لندن والذي تضمن ٨٢ بحثاً في المجالات التالية:

LOGIC CHAOS& INFORMATION
CYBERNETICS
EDUCATION
ENGINEERING
INTER DISCIPLINARITY
INFORMATION TECHNOLOGY
MANAGEMENT
MULTI-MEDIA
SOCIETY MEDIA
VISUALICATION & GRAPHICS

(١) - A. Behrooz (ed.) , Knowledge Transfer, A Division of Pacific & Middle East Center of Research, University of London, UK 1995.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وسيفيد الباحث من حداثة المعلومات في الأبحاث المقدمة خصوصاً المتعلقة بالإعلام والمجتمع وتكنولوجيا المعلومات . علماً بأن هذه الدراسات في مجملها تتحدث عن دول بعينها وليس عن دول العالم الثالث أو الدول الغربية بشكل عام.

٣ - MEDIA EFFECTS-ADVANCES IN THEORY AND RESEARCH [١]

هذه مجموعة مكونة من ١٦ بحثاً ضمَّنها عنوان تأثير الإعلام وتتحدث مجمل هذه الدراسات عن الآثار الإيجابية والسلبية للتلفزيون ووسائل الاتصال الجماهيري الأخرى على المجتمع بشكل عام والأفراد والأطفال بشكل خاص . وقد ركزت الدراسات على تأثير الإعلام الترفيهي والصحي والاجتماعي [**من حيث الجريمة والعنف**] وكذلك التعليمي.

الأبحاث وإن ركزت على الولايات المتحدة الأمريكية فإن مخرجاتها يمكن أن تفيد الباحث في مجموعة من مباحث الدراسة خصوصاً وأنها تعتبر من الدراسات الحديثة ١٩٩٤ .

---

(١) - Jennings Bryant and Dolf Zillman (ed.) , Media Efficts Advances in theory and Research , Lawrence Erlbaum Associates Inc , Hillsdale, NewJersey, USA, 1994.

(٢)- Lynne Schafer Gross (ed.), The International World of Electronic Media , California State University, Fullerton, McGraw- Hill, Inc . USA, 1995.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤ - THE INTERNATIONAL WORLD OF ELECTRONIC MEDIA [١]

هذه الدراسة بعنوان [**العالمية في الإعلام الإلكتروني**] . وهي عبارة عن ثلاثة عشر بحثاً حول اثنتي عشرة دولة وهي :

الولايات المتحدة ، البرازيل ، المملكة المتحدة ، ألمانيا ، جمهورية سلوفاكيا وجمهورية التشيك ، روسيا ، السعودية ، نيجريا ، الهند ، الصين ، اليابان ، وأستراليا .

وقد استعرض الباحثون تطور أجهزة الإعلام في هذه الدول والمعوقات التي صادفت تطور هذه التكنولوجيا في هذه الدول .

والدراسة حديثة ١٩٩٥ وتعتبر قيمةً للباحث في استعراض التطور التاريخي لهذه الوسائل الإعلامية وأهم السياسات التي وضعت لتلك الوسائل في كل دولة .

٥ - CULTURE, MEDIA, LANGUAGE [٢]

هذه الدراسة بعنوان (الثقافة ، الإعلام ، اللغة) عبارة عن عشرون بحثاً تحدثت عن دراسات في :

---

(١) - Stuart Hall and others (ed.) Culture , Media , Language , Center for Cantemporary Cultural Studied, University of Birmingham , Koutedge , London, UK, 1992.□

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ETHNOGRAPHY
MEDIA STUDIES
LANGUAGE
ENGLISH STUDIES

ويهم الباحث ماورد في الفصل الثاني في هذه الدراسة وهو دراسات إعلامية حيث قدمت فيه ستة أبحاث تتحدث عن دراسات في الإعلام والرسالة الاتصالية والتشفير ودور الأخبار في الاتصال الاجتماعي .

والدراسة تعود إلى عام ١٩٩٢ وسيفيد الباحث منها في الأطر النظرية المستخدمة في بريطانيا لهذه العناوين ومدى استخدامها في التأثير الإعلامي الغربي على دول العالم الثالث.

٦ - TO BE CONTINUED...SOAP OPERAS AROUND THE WORLD[١]

هذه الدراسة [ستكمل لاحقاً ... المسلسلات التلفزيونية حول العالم] عبارة عن ثمانية عشر بحثاً في المسلسلات التلفزيونية في دول العالم . وقد تطرق الباحثون إلى نشأة المسلسلات التلفزيونية وآثارها اجتماعياً على المشاهدين وأخلاقياً وسلوكياً وحضارياً في الدراسات الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية . كما تطرقت الدراسات الأخرى في أمريكا اللاتينية إلى تحول القصص إلى أعمال درامية تلفازيه واستخدام المسلسلات في تصوير الماضي في تلك الدول . ودراستان عن المسلسلات في الصين وروسيا

(١) -Robert C. Allen (ed.), To be Cuntenued.. Soap Operas Around the World , Routledge , London, UK , 1995.

(٢) د. مصطفى المصمودي النظام الإعلامي الجديد، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٦هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ودراسة مهمة عن تأثير المسلسل الديني الهندوسي **MAHABHARATA** على عائلة هندوسية تعيش في غرب لندن .

وهذه الدراسات سيفيد الباحث منها من آلية تحويل الأفكار إلى قصص ثم إلى مسلسلات في دول الغرب وكيف نجحت بعض المسلسلات وظلت تعرض على مدى عقود من الزمن بشكل أسبوعي منتظم . كما سيفيد الباحث من الدراسة الأخيرة في تحويل الفكر الديني إلى مسلسل درامي ومدى نجاح الفكر الديني غير المسلم في إقناع المشاهد بمعتقداته .

٧ - النظام الإعلامي الجديد[1]:

دراسة بذل فيها مؤلفها خلاصة ثقافته وعمره في الدفاع عن حق دول العالم الثالث عالمياً في مساحة عادلة في الإعلام . فقد استعرض الباحث المفاهيم المختلفة للنظام الإعلامي العالمي من وجهة نظر دول عدم الانحياز والمجتمعات الغربية والمجتمعات الاشتراكية وموقف المنظمات الدولية من وجهات النظر المختلفة . ثم تطرق الباحث إلى أبعاد هذا النظام العالمي الجديد من الناحية القانونية والاقتصادية والتقنية والتربوية والثقافية والاجتماعية ، وأخيراً ذكر الباحث أبعاد النظام العربي للإعلام وصور في ذلك الأبعاد الإقليمية وإمكانية الإفادة منها في الحفاظ على الهوية العربية .

وبالرغم من أن الكتاب صدر عام ١٩٨٥ إلا أن الباحث سيفيد من تجربة د. المصمودي في إيضاح الهوة بين الإعلام الغربي والإعلام في دول العالم الثالث كما سيفيد الباحث من مجموعة القرارات التي تم إصدارها من قبل منظمة دول عدم الانحياز في السبعينات من هذا القرن الميلادي والتي حددت بوضوح التفاوت النوعي والكمي بين وسائل الإعلام في الغرب

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وباقي دول العالم ، كما سيقوم بتحديث الإحصاءات والقرارات التي وردت في هذه الدراسة من الفترة ١٩٨٥ وحتى الآن .

٨ - أقمار الفضاء: غزو جديد[١]

غزو جديد وهذا المرجع من أفضل المراجع في موضوع البحث فهو رغم عودة تاريخه إلى ١٩٨٤ وقلة عدد صفحاته إلا أنه من حيث المضمون دراسة استشرافية في وقتها لم يدرك الأفراد ولا الحكومات المعاني الخطيرة التي نبه لها المؤلف في ذلك التاريخ . فقد تحدث عن شئ لم يقع ولم يدرك الناس خطره بالرغم من أن د. يماني أوضح بجلاء حجم الخطر وقد كان من أكثر الناس خبرة في ذلك المجال ، فقد كان وزيراً للإعلام . وسيفيد الباحث من المنهجية التي وضح بها الكاتب حجم الخطر القادم في إيضاح حجم خطر القنوات الغربية الفضائية الناطقة باللغات المحلية في دول العالم الثالث عندما تبدأ في بثها لهذه الدول .

حدود الدراسة سوف تركز هذه الدراسة على دور الإعلام في توظيف الثقافات وخصوصاً في العالم العربي والحلول المقترحة لحماية المجتمعات من خطر التوظيف الثقافي .

الاستراتيجيات الغربية في إحكام القبضة على وسائل الإعلام وبالتالي توظيف الثقافات في دولنا :

هناك مجموعة من الاستراتيجيات وضعت على فترات زمنية مختلفة وبعضها وجد من خلال مؤسسات دولية تابعة للأمم المتحدة وبعضها من خلال منظمات إقليمية أوربية غربية وأوربية شرقية ، كما أن هناك

(١) د. محمد عبده يماني، أقمار الفضاء غزو جديد، جهاز تلفزيون الخليج، الرياض، السعودية، ١٤٠٤هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

استراتيجيات وضعت من خلال مؤسسات إعلامية عالمية خاصة كوكالات الأنباء ومحطات البث التلفازية العالمية ومحطات الإذاعة العالمية الموجهة ، بالإضافة إلى ذلك هناك سياسات وضعت من قبل دول محددة تمتلك عناصر تكنولوجية لا يملكها غيرها وتقوم بوضع ما يناسبها من سياسات.

١ - التحكم في موجات البث الإذاعي من خلال المنظمات الدولية :

عندما صرح الرئيس الأمريكي بوش بعد حرب تحرير الكويت وخلال حملاته الانتخابية أن هناك نظاماً عالمياً جديداً ستسري قوانينه على الدول ظن الناس أن العالم سيمر بمرحلة جديدة تماماً ليس لها أي علاقة بماضي الغرب وتعامله مع دول العالم الثالث ، لكن الزمن لم يمهل الرئيس بوش فلقد تكشفت الحقائق أن ما أطلق عليه نظام عالمي جديد إنما هو مرحلة نتجت عن مراحل سابقة وأنها جزء من خطة طويلة في استخدام العباءة الدولية في بسط النفوذ السياسي على الدول الأضعف . فلقد استُخدمت الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة في جميع الفنون والعلوم للمساهمة في هذا الدور فكما استخدم مجلس الأمن في فرض الشرعية الدولية لدولة إسرائيل من خلال الفيتو الأمريكي لكل قرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة التي تدين إسرائيل . استخدمت منظمة اليونسكوم لفرض الهيمنة على العراق ومنظمة الصليب الأحمر الدولي لتمرير جرائم النصارى ضد المسلمين في البوسنة والهرسك والسودان ولبنان وكذلك الحال بالنسبة للبنك الدولي الذي أسهم في سياسة إغناء الشمال وإفقار الجنوب من خلال قروضه المستحيلة السداد ومؤتمرات الأمم المتحدة للمرأة والطفولة شاهد على الحلول اللامعقولة لمشكلات دول العالم الثالث.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية نموذج لهذه الإستراتيجيات . فالاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية عبارة عن وريث لاتحاد التلغراف الدولي والذي وجد عام ١٨٦٥ عندما اجتمع مندوبون من عشرين دولة في باريس وأنشئوا هذا الاتحاد لتنظيم وتحسين خدمة التلغراف بين دولهم . وفي عام ١٩٣٤ أطلق عليه اسم الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية بعد اتفاق مدريد عام ١٩٣٢ . وفي عام ١٩٤٧ تم إبرام اتفاق بين هذا الاتحاد والأمم المتحدة ليكون واحداً من وكالاتها [١].

وبرغم أهداف الاتحاد الجيدة في تقديم الخبرات وتحسين الأداء للعاملين في مجال الراديو والهاتف والتلغراف ومحاولة خفض أجور الاتصالات إلى أقل حد إلا أنه أصبح أداة استراتيجية في يد الدول الأكثر تقدماً في مجال الاتصالات فإن الاتحاد يملك الحق من خلال المادة [٣٣] من دستور الاتحاد في تنظيم استخدام الطيف المغنطيسي واختيار موجات الراديو في كل دولة باعتبارها مصادر دولية طبيعية محدودة . وقد تم تقسيم العالم من خلال الاتحاد إلى ثلاثة أقسام .

أ - أوروبا وأفريقيا

ب - أمريكا الشمالية والجنوبية

ج - آسيا

وعلى جميع الدول تسجيل موجاتها المستخدمة لدى الإدارة الدولية لتسجيل الموجات الكهرمغنطيسية[**IFRB**] والتي تغير اسمها عام [١٩٩٢] إلى الإدارة التنظيمية للراديو **RRB** ويبلغ عدد الدول الأعضاء في الاتحاد

(١) حسين عمر ، المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة ، تهامة ، جدة ، ١٤٠٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

[١٨٩] دولة وعدد الهيئات والشركات [٦٠٠] شركة وذلك حتى نهاية [١٩٩٩] .

ولقد أدرك رؤساء دول عدم الانحياز في مؤتمر ١٩٧٣ ظاهرة انعدام التوازن في ميدان الاتصالات[١] ، فالدول الصناعية تضخ كمّاً إعلامياً كبير مقارناً بما تبثه الدول النامية . حتى إن إحدى توصيات ذلك المؤتمر «إن من واجب بلدان عدم الانحياز تغيير الوضع المنحاز وتحرير الإعلام ووضع تصور بنظام إعلامي عالمي جديد»[٢] . وفي عام ١٩٧٦ أقر مؤتمر نيروبي لدول عدم الانحياز برنامجاً يخفض حجم الفارق بين الإعلام النامي والإعلام الموجه من دول الغرب . ثم توالت المؤتمرات واللجان في أروقة الأمم المتحدة بين دول تسيطر على التكنولوجيا وتملك رأس المال ودول مستهلكة للفكر والتكنولوجيا وليس لها قدرات مالية كافية .

وانتصر الضعفاء في مؤتمر اليونسكو العشرين عام ١٩٧٨ ، حيث أقر المؤتمر بعض المبادئ الأساسية التي تخدم قضايا دول العالم الثالث . وقد أدى ذلك إلى أن تغادر الولايات المتحدة الأمريكية اليونسكو مدعية أن هذه المنظمة شديدة التعاطف مع دول العالم الثالث ، وامتنعت عن دفع حصصها المالية .

بهذا المنطق يتفاهم معنا الكبار عند المطالبة بأدنى حق من حقوقنا ، مع أن دول العالم الثالث لم تطالب إلا بتخفيض الفارق الكبير بين ما تبثه دول الشمال مقابل ما تبثه دول الجنوب .

---

(١) د.مصطفى المصمودي ، النظام الإعلامي الجديد ، مرجع سابق.

(٢) نفس المصدر .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يقول د.المصمودي[١] : « هناك عدم مساواة في توزيع طيف الذبذبات الإذاعية بين البلاد المتقدمة والنامية، فالأولى تسيطر على حوالي ٩٠٪ من أصل الطيف بينما لا تمتلك البلدان النامية الوسائل التي تحميها من الإذاعات الأجنبية ، وكثيراً ما يصعب عليها أن تنافسها» . «والبلاد النامية، وإن كانت تغطي مساحة أوسع امتداداً إلا أنها تملك قنوات أقل مما تملكه البلاد المتقدمة . أما كثافة الطاقة لكل كيلو متر مربع فهي أقل بمقدار أربع مرات في البلاد النامية منها في البلاد المتقدمة».

صحيح أن عدد دول العالم الثالث أكثر ، وشعوبها مقارنة بدول الشمال أكبر عدداً ولكنها في مجال الاتصالات متخلفة عن دول الشمال بمراحل . فإذا علمنا من إحصاءات اليونسكو[٢] أن الدول النامية يبلغ عدد سكانها [٤,٤٦٢,٦٠٦,٠٠٠] عام ١٩٩٥ في حين يبلغ عدد سكان الدول المتقدمة [١,٢٢٤,٥٦٨,٠٠٠] في نفس العام فلنا أن نتصور حجم الفارق الكبير في التعامل مع تكنولوجيا الاتصالات من خلال هذه الأرقام .

يبلغ عدد أجهزة الراديو المستخدمة في استقبال البث الإذاعي سواء كانت منزليةً أو في السيارة أو في الأماكن العامة عام ١٩٩٧ [١١٢٤٠٠٠٠٠٠] جهاز يملك [٢٤٥] من كل ألف شخص جهازاً واحداً. أي بمعدل ٢٤,٥٪ من سكان دول العالم الثالث يتعرضون للبث الإذاعي ويمتلكون أجهزة استقباله .

في حين وصل عدد أجهزة استقبال البث الإذاعي في الدول الغربية في نفس العام [١٣٠٨٠٠٠٠٠٠] جهاز بمعدل [١٠٦١] جهاز لكل ألف شخص أو

---

(١) نفس المصدر ص٤٢.

(٢) جميع الإحصاءات المستخدمة في هذا البحث مأخوذة من :

- UNESCO Statistic Year Book, UNESCO, Paris, France,1999.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعبارة أخرى ١٠٠٪ من سكان هذه الدول يمتلكون أجهزة استقبال للبث الإذاعي .

وكذلك الحال في البث التلفازي حيث وصل تعداد أجهزة استقبال البث التلفازي في دول العالم الثالث [٧٢٠٠٠٠٠٠٠] جهاز يمتلك [١٥٧] شخص من كل ألفٍ جهازاً بمعدل [١٥,٧٪] من مجموع السكان في حين يوجد [٦٧٥٠٠٠٠٠٠] جهاز لاستقبال البث التلفزيوني في الدول المتقدمة يمتلك [٥٤٨] شخصاً من كل ألف جهاز استقبال أي بمعدل [٥٥٪] من السكان يمكنهم استقبال البث التلفازي .

هذه الأرقام توضح حجم المأساة بين دول تملك التكنولوجيا وتسخرها لخدمة مصالحها وبين دول تستهلك بعسر تكنولوجيا وفكر غيرها . إن هذه الأرقام يمكن أن تتضح مأساتها إذا علمنا أن الدول العربية وحدها يمتلك فيها [٢٦,٩٪] من السكان أجهزة لاستقبال البث الإذاعي بالرغم من ثورة الترانزستور وانخفاض أسعار هذه الأجهزة . ولك أن تتصور المأساة من جهتين الأولى أن دول العالم الثالث هذه لا تمتلك إلا [١٠٪] من مساحة المجال الكهرومغناطيسي الذي يمكنها من بث إذاعي واضح ويصل إلى المساحة الجغرافية التي تريد ، والثانية أنها في المساحة الصغيرة المسموح لها التحرك فيها لم تستثمرها إلا بمعدل [٢٤,٥٪] وهم السكان الذين يملكون أجهزة استقبال البث .

٢) التحكم في نشر (بيع) التكنولوجيا لدول العالم الثالث :

لم يعد سراً أن تعلن دول الشمال حرباً تكنولوجية على دول العالم الثالث ، فالسيطرة على اقتصاد دول العالم الثالث تصبح سهلة إن كانت جميع الآلات **Made in U.S.A** أو **Made in Europe** فهي بذلك

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تكتسب مجموعة من المحصلات السياسية والإعلامية والاقتصادية. فبيع دولة معينة نوعاً معيناً من الآلات أو الأجهزة أو المعدات ينبني عليه اتفاقات تابعة تجعل من الدولة المشترية دولة منقادة للدولة البائعة . فشروط الاستخدام وأنواعه وأحجامه كلها أصبحت تحدد من قبل الدولة البائعة . وصارت قطع الغيار أداة تستخدم ضد كل من يخرج عن شروط العقد أو يحاول الاستقلال عن الدولة البائعة .

برغم أن المعادلة يفترض فيها أن يملي المشتري شروطه فهو صاحب المال والآخر هو المستفيد إلا أن قاعدة الاحتكار الغربي مع تقدمه التكنولوجي يجعل من دولنا دولاً منقادة نحو رغبات الدولة البائعة .

ولإلقاء صورة أكثر وضوحاً في هذا المجال علينا النظر إلى أساسيات تكنولوجيا وسائل الإعلام أين تصنع وكيف توزع ؟ فبدءًا من أجهزة الكمبيوتر والأستوديو الإذاعي التلفازي وانتهاء بالأقمار الصناعية وقواعد الصواريخ التي تقوم بإطلاقها في الفضاء ، وفي مجالات الطباعة والتصوير وتقنية الأفلام الفوتوغرافية والسينمائية كلها تبدأ من دول الشمال . هذا البدء لم يولد خلال فترة زمنية قصيرة بل تولد خلال عقود طويلة من الزمن رافقه مراكز أبحاث وجامعات وميزانيات ضخمة تنفق في مجال البحث العلمي ، في حين تقع دوائر اهتمام دول العالم الثالث خارج دائرة البحث العلمي والتكنولوجي .

دولنا تتجه نحو توسيع دائرة التسلح وزيادة الرفاهية وزيادة تحقيق مزيد من الطعام والكساء والأمن ، ولا ترى في البحث وتشجيعه دوراً فاعلاً في تغيير كيانها وتحويلها من دول متخلفة إلى دول متقدمة ففي حين يوجد في اليابان [٦٣٠٩] عالم ومهندس متفرغين للبحث العلمي من كل مليون

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مواطن عام ١٩٩٤ وفي أمريكا [٣٧٣٢] عالم ومهندس من كل مليون ، وفي السويد [٣٧١٤] عالم ومهندس من كل مليون ، وفي بريطانيا [٢٤١٧] عالم ومهندس لكل مليون . وفي ألمانيا [٢٨٤٣] عالم ومهندس لكل مليون .

يقابل ذلك اختفاء أسماء كثيرة من دول العالم الثالث من قائمة الدول التي ترعى التكنولوجيا وتنتجها ففي الإحصاءات المتوافرة من مصادر محايدة كاليونسكو[1] لم يصل مجموع العلماء والمهندسين المتفرغين للبحث العلمي في مراكز متخصصة في تطوير التكنولوجيا إلا إلى [٤٥٨] عالم ومهندس لكل مليون في مصر وفي المكسيك [١٥٧] عالم ومهندس لكل مليون وفي البرازيل [١٦٨] عالم ومهندس لكل مليون وفي الصين [٣٥٠] عالم ومهندس لكل مليون وفي تركيا [٢٦١] عالم ومهندس لكل مليون .

والاستثناء الوحيد في زيادة عدد العلماء في دول العالم الثالث هو دول الاتحاد السوفيتي السابقة التي أصبحت جمهوريات مستقلة حيث يبلغ عدد العلماء فيها بفضل سياسة الاتحاد السوفيتي السابق في لاتفيا [١١٨٩] عالم ومهندس لكل مليون، ولتوانيا [١٢٧٨] عالم ومهندس لكل مليون، أوزبكستان [١٧٦٠] عالم ومهندس لكل مليون ،طاجاكستان [٧٠٩] عالم ومهندس لكل مليون . مع العلم أن معظم أبحاث الاتحاد السوفيتي السابق كانت في عالم الأسلحة والفضاء ولم يتقدم البحث العلمي في مجال التكنولوجيا التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية كما يفعل علماء اليابان وأوربا.

(١) نفس المصدر .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتنفق على هذه المراكز أرقام فلكية من الأموال في استثمارات مدروسة تحقق التفوق التكنولوجي على الدول الأخرى لعدة عقود وليس سنوات .

فالولايات المتحدة الأمريكية أنفقت عام ١٩٩٥ من ميزانية الدولة والقطاع الخاص على البحث العلمي عام ١٩٩٥ [١٧١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠] دولار أمريكي وأنفقت ألمانيا عام ١٩٩٣[٧٦,٧٢١,٠٠٠,٠٠٠] مارك ألماني وأنفقت بريطانيا عام ١٩٩٣ [١٣.٨٢٩,٠٠٠,٠٠٠] جنيه وأنفقت اليابان [١٣,٧٧١,٥٢٤,٠٠٠] ين ياباني عام ١٩٩١ أما دول العالم الثالث فإنفاقها الحكومي على البحث العلمي قليل مقارنة بحجم إنفاقها على الاستهلاك اليومي لشعوبها التي تعاني من قلة التعليم والصحة ومستوى المعيشة إضافة إلى نزاعاتها الحدودية مع جاراتها التي ترهق ميزانياتها في التسلح .

وبالرغم من معاونة الدول الغربية لدول العالم الثالث بتحمل جزء من ميزانيات البحث العلمي الموجه في القضايا الإنسانية والبيئية فقط فإن الإنفاق بشكل عام يعد محدوداً ولا يمكن أن يرقى بهذه المراكز إلى مستوى عالمي في البحث والتكنولوجيا .

ففي حين أنفقت مدغشقر عام ١٩٩٥ [٢٢,٤٧٧,٠٠٠,٠٠٠] فرنك فرنسي تتحمل الدولة منها ٨,٧٪ فقط أما الباقي ٨٩,٧٪ فعلى شكل معونات أجنبية .

وفي قبرص تم إنفاق [١٠٠,٤٦٠,٠٠٠,٠٠٠] دراخما عام ١٩٩٣ منها ٣٠٪ معونات أجنبية وأنفقت تركيا عام ١٩٩٥ [٢٨,٥٠٩٣٩٥,٠٠٠] ليره تركية .

هذه الأرقام توضح حجم الفارق بين تحديد الهدف في الوصول إلى تكنولوجيا أكثر تقدماً وبالتالي احتكارا أكبر لسوق يملكه من يملك

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تقنيته وبين دول تعتبر البحث العلمي مجالا ثانوياً من الإنفاق يسبقه التعليم والصحة والتسلح قبل ذلك .

وخطر المعونات الأجنبية في مراكز البحث العلمي وتوجيهها وتحديدها أمرٌ غير خافٍ فهي عادة ما تكون في مجالات الصحة والبيئة والدراسات الاجتماعية ولا يمكن أن تصل إلى التكنولوجيا أو الفضاء وبالرغم من خدمتها لهذه القطاعات إلا أن وسائل الإعلام الغربية تفاجئنا مرة بعد مرة بإجراء تجارب على لقاحات ضد أمراض مستعصية تم تجربتها بعد الفئران على إنسان دول العالم الثالث وفي أفريقيا والهند بشكل خاص .

وهذه الفضائح الإنسانية لا يمكن أن تفسر إلا بأن مالك البحث ومعامل تركيب الأدوية في الغرب استغلت ما تقدمه من دعم لميزانيات مراكز البحث العلمي في دول العالم الثالث وقامت من خلال ذلك بتجربة أدويتها على شعوب لا يملك الإنسان فيها مفاتيح المعرفة ليدرك حجم الخطر فيما يجربه مقابل دولارات معدودة ولا يوجد فيها من صناع القرار من يدرك حجم المأساة .

يقول الدكتور عبدا لرحمن السميط[1] ــ نقلاً عن أحد رجال الكونجرس الأمريكي ــ: «إن كل دولار تمنحه أمريكا لدول العالم الثالث يعود عليها بثلاثة دولارات سنوياً» ويفسر ذلك بأن أمريكا تبني محطة إذاعة لدولة إفريقية مثلاً وتمنحها لها ثم تقوم هذه الدولة بشراء قطع الغيار وإعادة تدريب العاملين والالتزام بتقنية الشركة الأمريكية التي

(١) د.عبدالرحمن السميط (رئيس لجنة مسلمي افريقيا) محاضرة في مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي ١٩٨٨، أوكلاهوما ، امريكا .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قامت بتركيب المحطة ، مما يؤدي إلى أن تدفع مقابل هذه الالتزامات ثلاثة أضعاف قيمة المحطة نفسها .

ذكر لي أحد الأساتذة بكلية الطب في جامعة عربية أفريقية أنهم استطاعوا خلال بداية الثمانينات زراعة الكلى وكان ذلك يعد فتحاً في مجال زراعة الأعضاء في دول العالم الثالث . فقاموا بزيارة لرئيس الدولة ليخبروه عن هذا الإنجاز العظيم ، فرد عليهم : دولتنا ليست في حاجة إلى زراعة كلى ، نحن في حاجة إلى زراعة رز ؟! بهذه العقليات فقدنا التكنولوجيا بحثاً ودراسة وتطبيقاً . وبهذه العقليات صرنا نتسول الموافقة على طلبات الشراء برغم تقديم كافة الضمانات المالية .

إن التحكم في تكنولوجيا وسائل الإعلام قدم لدول الغرب ثغوراً مباحة في قناتنا فالإذاعات الموجهة على مدى الستين عاماً الماضية جعلت الطفل الشرقي يعرف تفاصيل ما يحدث في الغرب وأخبار فنّانيه ولاعبي الكرة ورؤساء الدول والكتاب والمفكرين واستطاعت هذه الإذاعات الموجهة أن تشكل عقول النخبة من مثقفينا وبالتالي من دونهم في الجامعات والمراكز العليا في دولنا .

ثم بدأ البث الفضائي يشكل تهديداً أكثر لهويتنا وثقافتنا وسيتلوه تحكم أكثر في بث قنواتنا المحلية . كل ذلك بسبب التحكم في تصنيع وتشغيل تكنولوجيا وسائل الإعلام ، ثم التحكم في بيعها لمن وبكم .

٣) التحكم في الأقمار الصناعية :

يتصور بعض المتحمسين من الدعاة والوطنيين أن مسألة الأقمار الصناعية مسألة مالية ، فالدولة من دولنا إن أرادت أن تنشر الخير أو أن تنشر فكر ثوارها فما عليها سوى دفع رسوم التشغيل للشركات الغربية

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المالكة لهذه الأقمار الصناعية لتحصل على قنوات تقوم من خلالها ببث ما تريد ، وهذا في الواقع غير صحيح .

فالأقمار الصناعية ليست مباحة لكل من يملك مالاً بل تحكمها ضوابط وقواعد منطلقة من استراتيجيات أمنية وسياسية وعقائدية .

فلا يمكن أن تسمح الدول التي تقع هذه الشركات داخل حدودها بإعطاء دول العالم الثالث الحرية في استخدام هذه القنوات الفضائية كيفما تشاء ، فهناك «تصور لحرية الإعلام على أنها نتيجة طبيعية لحرية التعبير ، لكنها في الواقع فهمت على أنها حرية القائم بالإعلام ، ونتيجة لهذا أصبحت أداة للسيطرة في أيدي الذين يتحكمون في وسائل الإعلام ، وبلغة القانون فقد نجم عنها تقديس لحقوق المشتغلين بالإعلام»[1].

وقد بدت الصورة تتضح خلال العقد الماضي في قضية التحكم في الأقمار الصناعية ، فهناك تصنيف أمريكي لدول العالم ، ومن بنود هذا التقسيم أن هناك دولاً داعمة للإرهاب ومنها : إيران والسودان وباكستان وسوريا ، وليبيا وكوبا وكوريا الشمالية .

فهل يعقل أن تعطي الشركات الأمريكية المالكة لهذه الأقمار الصناعية امتيازات استخدام الأقمار الصناعية للقنوات الفضائية وغيرها من الاستخدامات السلمية لدول كهذه دون موافقة الحكومة الأمريكية ؟! لا أظن ذلك ممكناً ، إلا أن تعلن هذه الدول توبتها النصوح ويتقبلها منها الكونجرس الأمريكي ، وكذلك الحال بالنسبة لفرنسا وغيرها من دول أوربا.

(١) د. مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، مرجع سابق، ص٤٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبداية قصة الأقمار الصناعية توضح لنا حجم الاحتكار وطرق عمله مع دول الكتلتين الغربية والشرقية ثم موقف هاتين الكتلتين الشماليتين من دول الجنوب .

ففي عام ١٩٦٥ تم إطلاق أول قمر صناعي أمريكي يسمى "الطائر المبكر" أو **Early Bird**

وهذا القمر هو الجيل الأول مما تم التعارف على تسميته فيما بعد بأقمار "إنتل سات" .. وكان هذا القمر هو أول قمر يستخدم في نطاق تجاري ولم تمض سبعة عشر يوماً حتى أطلق الاتحاد السوفيتي قمر "مولينا -١" لنقل البرامج التلفزيونية والاتصالات اللاسلكية .

ثم توالى السباق بين أمريكا والاتحاد السوفيتي ، ففي عام ١٩٦٧ أطلق الجيل الثاني من "إنتل سات –٢ " ثم عام ١٩٦٨ أطلق جيل أقمار "إنتل سات –٣" وهكذا ، وكذلك الحال بالنسبة للاتحاد السوفيتي الذي غطى خلال الستينيات جميع حدوده بشبكة من الأقمار الصناعية .

وتعتبر نشأة منظمة الاتصالات السلكية واللاسلكية والأقمار الصناعية [إنتل سات] في ٢٠ أغسطس ١٩٦٤ في الولايات المتحدة الأمريكية بداية لهذا السباق بين الكتلتين وقد تم تحويلها إلى منظمة دولية عام ١٩٧١ لجعلها منظمة دولية تجارية لتقديم خدمات الاتصالات عبر الأقمار الصناعية .

فقد تم دعوة جميع الدول الأعضاء في الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية وللاسلكية للانضمام لهذه المنظمة التي ستخدم الاتصالات اللاسلكية وخدمات البث التلفازي والإذاعي والهاتف وغيرها . وتم وضع سياسات هذه المنظمة وطرق دعمها مالياً وفنياً ووضع تصور لتنمية أجيال أقمارها الصناعية .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبالطبع هيمنت الولايات المتحدة على المنظمة مع دول الغرب وصار دور الدول الأخرى داعماً ومستفيداً من خدمات إنتل سات فبالرغم من وجود ١٢٥ دولة في هذه المنظمة إلا أن الولايات المتحدة تقوم بإطلاق الأقمار الصناعية من خلال صواريخها وفرنسا كذلك ، والغريب أن منظمات مثل عرب سات و يوتل سات ستظل رهينة لصواريخ الإطلاق في أمريكا وإيريان الغربية فقاعدة المستهلك للتكنولوجيا هي الرائدة في مثل هذه المنظمات التي لا تملك صنع التكنولوجيا .

بل إن مجموعة من الدول استخدمت خدمات إنتل سات كخدمات وطنية للهاتف والفاكس وغيرها وفي ذلك خطر استراتيجي كبير حيث تظل هذه الدول مهما كان مركزها وأسهمها في هذه المنظمة حبيسة الاستهلاك وليس الامتلاك للتكنولوجيا وستظل بذلك أمريكا وفرنسا قادرتين على الضغط على هذه الدول تكنولوجياً في حالة العداء أو الحرب.

إن الأمر المؤسف أن الدول الأعضاء في المنظمة تقدم الدعم المالي والاستهلاكي لمنتجات هذه المنظمة في حين تزيد الولايات المتحدة من عدد العلماء والفنيين العاملين في إنتل سات من أبناء شعبها وتزداد قوتها التكنولوجية على حساب تلك الدول .

ويقول د.يماني: «إن هناك معلومات تفيد بأن معدل إرسال الأقمار الصناعية خلال الثمانينات سيكون ١٢٠ قمراً على الأقل كل عام لأغراض إعلامية وعسكرية وعلمية وغيرها» [(١)]. ويلخص د.يماني قصة الأقمار الصناعية بقوله : «والأمر الذي يستوي فيه المهيمنون هو أنهم يشاركون في ممارسات استعمارية بكل ما في هذه الكلمة من معنى ،

(١) د.محمد يماني ، أقمار الفضاء غزو جديد ، مرجع سابق، ص٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكل طرف يحاول أن يستعرض عضلاته ويفرض هيبته ، ويطور ـ وهذا هو المهم ـ وسائله الاستراتيجية لمواجهة أي حرب مقبلة» [١].

وإذا أخذنا في الاعتبار أن هذه الأخطار في السلم ومن خلال التحكم في الأقمار الصناعية الموجه للأغراض السلمية فقد أوضحت لنا حرب الخليج الثانية حجم الاستخدام وخطره للأقمار الصناعية المتخصصة في التجسس على العراق ودول الخليج وهي صورة مكررة لما يمكن أن تستخدمه دولة ملكت الأقمار الصناعية كنموذج لامتلاك التكنولوجيا.

٤) التحكم في تأجير القنوات الفضائية :

إن نظرية العرض والطلب لم تعد ذات قيمة محورية في مجال تأجير الأقمار الصناعية وتأجير القنوات الفضائية ، فهناك محاور استراتيجية أخرى تتساوى أو تزيد في أهميتها في قضية العرض والطلب .

فالشركات المالكة لهذه القنوات تضع لنفسها مجموعة من السياسات والشروط المطلوبة من الدول أو الشركات الراغبة في استئجار قنوات فضائية فيها ، وهذه الشركات المالكة تعمل في دول أخرى لها سياسات وشروط في المستأجرين لهذه الأسلحة الإعلامية ، ولذا فمن العبث الظن الذي يراه بعض الدعاة المتحمسين بأن المسألة مسألة مال وعزيمة ، مال تستأجر به هذه القنوات وعزيمة دول تريد نشر الإسلام وتتحمل الخسائر المالية لاستئجار هذه القنوات ، وبذلك يمكننا أن ننشر الإسلام ليعم الدنيا.

---

(١) نفس المصدر ص١٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إن المسألة في الحقيقة تحتاج إلى دراسة وتمحيص ، فالمال والعزيمة أمران محوريان لبداية مشروع أي قناة فضائية سواء كان لنشر الإسلام أو المسيحية أو حتى لنشر الجنس .

لكن ما هي الشركة التي تستأجر هذه القناة أو تلك ، ومن هي الدولة التي ستسمح بفتح ثغورها لأعدائها ؟ لنتصور العملية بشكل عكسي ، لو كانت السعودية هي المالكة لهذه القنوات فهل ستسمح بتأجيرها لقناة تابعة للفاتيكان ؟ .

من خلال التحكم في تأجير القنوات الفضائية أصبح هناك مفاضلات لشركات على شركات أخرى ولأيدلوجيات على أيدلوجيات أخرى ، ولذا فسنجد في القريب قنوات أكثر إباحية موجهة لدول العالم الثالث لكسر الجمود الذي تفتخر به هذه الدول (في منظور الغرب) والذي تعبر عنه بأنها دول محافظة .

فالأولوية تعطى لمجموعة من الأفكار والشركات لتحقيق سياسات دولية وعقائدية ، والمحزن أننا في غمرة هذا التقدم السريع في مجال القنوات الفضائية ما زلنا نتسول استخدام هذه القنوات فضلاً عن تصنيعها أو شراء ما يمكن شراؤه منها . بل حتى تنويع الاستئجار أغفلنا أهميته . فالدول الغربية هي السوق الأوحد الذي نعرفه مع أن هناك دولاً أخرى كالصين واليابان وروسيا تقدمت في هذا المجال[1] .

٥) التحكم في نشر الأخبار من خلال وكالات الأنباء :

(١) د. جيهان رشتي، التنسيق والتعاون في مجال التلفزيون عالمياً وعربياً، جهاز تلفزيون الخليج، الرياض، السعودية، ١٤٠٣هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يوجد المئات من وكالات الأنباء المحلية والإقليمية والدولية في عالمنا اليوم، إلا أن خمس وكالات فقط تحوز على مجموع ٩٠٪ من الأخبار التي تذاع وتكتب في تلفزيونات وإذاعات وصحف ومجلات العالم[١] .

هذه الوكالات هي غربية النشأة والتمويل والتوجه وهي الأسوشيتدبرس واليونايتدبرس الأمريكتين وتاس السوفيتية إنترفاكس حالياً ووكالة الأنباء الفرنسية ورويتر البريطانية .

وأقدمها وكالة فرانس يرس والتي انبثقت من الوكالة التي أسسها شارل لويس هافاس عام ١٨٣٥ حيث تم عام ١٩٥٧ فصلها عن الحكومة الفرنسية ووضع لها نظام داخلي يتضمن استقلاليتها وموضوعيتها فأصبح يملكها مجموعة من المساهمين[٢] .

ويعمل لدى الوكالة [٢٤٠٠] صحفي ومراسل و مصور موزعين على [١٦٥] دولة وتقدم يومياً مليوني كلمة بست لغات الفرنسية والإنكليزية والعربية والألمانية والأسبانية والبرتغالية كما تقدم [٢٠٠] صورة يومياً للصحف ومع دخول الإنترنت أصبحت الوكالة تقدم خدماتها عن طريق الشبكة بعد أن كانت تقدمها عبر الأقمار الصناعية فقط ، وتقدم الوكالة خدمات خاصة رياضية واقتصادية وثقافية وعلمية بلغات مختلفة لمناطق وقطاعات محددة كالعالم العربي وأمريكا اللاتينية وغيرها .

وثاني هذه الوكالات من حيث التأسيس وكالة الأسوشيتدبرس والتي أسست عام ١٨٤٨ في الولايات المتحدة الأمريكية وتعتبر من أكبر الوكالات العالمية وأقدمها[٣] . وتخدم هذه الوكالة أكثر من [٥٠٠٠]

(٢) د. مصطفى المصمودي ، د.عواطف عبدالرحمن، مصدر سابق.
(٣) انظر موقع وكالة فرانس برس في الإنترنت www.afp.com
(١) انظر موقع وكالة الأسيشيتد برس في الإنترنت www.ap.org

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

محطة راديو وتلفزيون في الولايات المتحدة فقط و[١٧٠٠] صحيفة أمريكية بالإضافة إلى [٨٥٠٠] صحيفة ومحطة راديو وتلفزيون في [١١٢] دولة ويعمل في هذه الوكالة [٣٥٠٠] صحفي ومراسل يعملون في [٢٤٠] مكتب في [٩٥] دولة في العالم . وتقدم الوكالة مجموع [٣٣٠] محطة تلفزيونية أفلاماً إخبارية مصورة ، كما تقوم بتقديم أخبارها بالإنجليزية والألمانية والدنمركية والفرنسية والأسبانية ثم يتم ترجمتها إلى لغات أخرى . ويبلغ عدد الكلمات اليومية التي تنشرها [٢٠] مليون كلمة يومياً وتصدر [١٠٠٠] صورة يومياً .

وتعتبر وكالة رويتر الوكالة الثالثة من حيث التأسيس والأكبر من حيث الانتشار[١] وقد أسسها بول جوليس رويتر الألماني عام ١٨٥١ في لندن وبدأت بنقل أسعار الأسهم في البورصة بين لندن وباريس ثم امتدت إلى الأخبار حيث أصبحت تزود أكبر الصحف الأوربية بالأخبار خصوصاً ما انفردت به في تقديم أخبار عالمية ككلمة ملك سردينيا في افتتاح البرلمان عام ١٨٥٩ والتي اعتبرت بداية الحرب بين فرنسا وسردينيا وفرنسا والنمسا ونبأ اغتيال الرئيس الأمريكي لينكولن عام ١٨٦٥ والتي أدت إلى اضطراب أسواق المال الأوربية وإذاعة نبأ الهدنة التي أنهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ .

وبعد أن تعرضت رويتر لضغوط من الحكومة البريطانية لتخدم المصالح البريطانية في الحرب العالمية الأولى ولتفادي الضغوط الحكومية قبل الحرب العالمية الثانية تم تحويل رويتر عام ١٩٦٤ إلى شركة خاصة تملكها الصحافة الإقليمية والقومية البريطانية وفي عام ١٩٧٤ دخلت

(٢) انظر موقع وكالة رويترز في الإنترنت www.reuters.com

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكالة يرس أسوسيبنشن النيوزيلاندية ووكالة اسوشيتد يرس الأسترالية كمساهمين في وكالة رويتر .

وقد أطلقت وكالة رويتر مجموعة من أنظمة نقل أسعار البورصة والعملات عبر شبكات الكمبيوتر العالمية منذ عام ١٩٦٤ بنظام **Stock Master** وحتى نظام **Dealing 2000-2** عام ١٩٩٧ كما أطلقت رويتر خدمة تلفزيون رويتر المالي عام ١٩٩٤ لتوفير تغطية حية للمتعاملين في أسواق المال ولذلك تعتبر رويتر من أكبر الشركات العالمية أرباحاً حيث بلغت إيراداتها عام ١٩٩٧ [٢٨٨٢] مليار جنيه إسترليني منها [٢٥٪] أرباح ، ويصل عدد العاملين في رويتر [١٦٠٠٠] صحفي ومراسل وموظف موزعين على [١٦٣] مكتب في [٩٨] دولة تبث يومياً [٩٠٠,٠٠٠] كلمة وخدمات محلية بإحدى وعشرين لغة .

بينما تخدم شبكة رويتر المالية [١٦٣] دولة بعدد شاشات [٣٩٦٤٠٠] شاشة ، تعتبر وكالة تاس السوفيتية سابقاً والتي ورثتها وكالة إنتر فاكس الروسية حالياً كما ورثت روسيا الاتحاد السوفيتي رابع أكبر وكالات الأخبار[١] .

فقد تأسست وكالة تاس عام ١٩٢٥ وكان لها قبل انهيار الاتحاد السوفيتي [٥٦٠] مكتباً في الاتحاد السوفيتي وباقي أنحاء العالم وكان لها [٢,٥] مليون كلمة يومياً ، وبالرغم من أن الوكالة كانت تخدم النظام السوفيتي من الناحية الفكرية إلا أنها كانت تقدم خدمات الأخبار في الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية الأخرى حيث وصل عدد المشتركين إلى [٧٠٠] مشترك من صحف ، وإذاعات ، ومحطات

(١) انظر موقع وكالة إنتر فاكس في الإنترنت www.interfax-news.com

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تلفزيونية باللغات الروسية ، والإنجليزية، والفرنسية ، والإسبانية ، والعربية ، والألمانية .

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي أصبحت وكالة إنتر فاكس الوكالة الأولى في روسيا واستطاعت أن تغطي جميع الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتي فمكاتبها المنتشرة في هذه الجمهوريات وتغطيتها لأخبار هذه الجمهوريات تؤكد ذلك ، والجديد في هذه الوكالة استخدامها لأجهزة الاتصال الحديثة من إنترنت وأقمار صناعية وأصبحت تبث [١٥٠٠] قصة إخبارية يومياً يحررها أكثر من [١٠٠٠] صحفي ومراسل ولها مشتركون في [١٠٠] دولة ولها مكاتب في أمريكا وأوربا بالإضافة إلى مكاتبها في القارات الأخرى .

أما وكالة يونايتد يرس إنترناشيونال الأمريكية فهي أيضاً من أكبر وكالات الأنباء العالمية[1]. فقد أسسها سكربس عام ١٩٠٧ وسماها جمعية الصحافة المتحدة وفي عام ١٩٥٨ اتحدت هذه الوكالة مع وكالة ويلم راندولف هيرتس إنتر ناشيونال للخدمات الإخبارية ليكونا بذلك وكالة اليونايتد يرس إنتر ناشيونال .

وقد طورت الوكالة خدماتها من التوصيل عبر التلغراف إلى الراديو إلى أن أوجدت نظام أقمار صناعية دولي لتتسع بذلك خدماتها وتصل إلى آفاق أكثر ثم طورت خدماتها بعد ذلك عن طريق شبكة الإنترنت .

وتمتلك الوكالة [٢٦٠] مكتباً حول العالم ولديها أكثر من [٦٥٠٠] مشترك في خدماتها من الصحف ومحطات الراديو والتلفزيون داخل الولايات المتحدة وخارجها.

(٢) انظر موقع وكالة يونايتد برس إنترناشيونال في الإنترنت www.upi.com

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبالرغم من سيطرة وكالات الأنباء الخمس على توزيع الخبر في العالم فقد نشأت وكالات أخرى ذات تأثير كبير خصوصاً في مجال التغطية التلفازية مثل : سي إن إن ، ووكالة فيز نيوز التلفزيونية التي تملكها البي بي سي ، ووكالة رويتر وسي بي إس التلفزيونية الكندية ، والتلفزيون الأسترالي والتي توزع إنتاجها إلى أكثر من [١٨٠] محطة تلفزيونية في العالم.

فشبكة سي إن إن الإخبارية الأمريكية والتي ظهرت قوتها خلال حرب الخليج الثانية وخلال أحداث البوسنة وكوسوفا وتيمور الشرقية مثال على ذلك .

وبالرغم من أنها شركة تجارية خاصة إلا أنها استطاعت برغم خسارتها المتكررة مادياً في السيطرة على نشر الخبر التلفزيوني دولياً .

وقد أصبحت هذه الوكالات الخمس محتكرة للأخبار في العالم ولعدة عوامل منها :

أ) عدد المراسلين لهذه الوكالات الموزعين في جميع دول العالم ، بالإضافة إلى تعاقدهم مع مراسلين محليين في الدول التي لا يمكنهم تغطيتها للحصول على الأخبار بأسرع الطرق وبذلك تصبح الوكالات الإقليمية أو المحلية أضعف من أن تنشر الخبر عالمياً بنفس سرعة هذه الوكالات بل إن الصحف والإذاعات ومحطات التلفاز المشتركة تصبح رهينة هذه الوكالات لكثرة الأخبار التي تصلها منها ولجودتها وتنوعها بدءاً من السياسة والاقتصاد وحتى الرياضة والفن .

ب) دعم الدول الأربعة لهذه الوكالات بما يساعدها في الانتشار وبسط السبل لمراسليهم وحمايتهم من خلال سفارات هذه الدول في جميع دول العالم . وتستفيد هذه الدول من المراسلين في الشق الإخباري والشق التجسسي إذ لا فرق في طبيعة العمل بين المراسل لوكالة أنباء

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمخبر أو الجاسوس لدولة معينة ، فكلاهما يبحث عن المعلومة إلا أن المراسل يرسلها بهدف النشر والثاني يرسلها كمعلومة سرية .وقد لاحظ المشاهد العادي دور شبكة سي إن إن من خلال مراسليها في العراق في متابعة المباني التي قصفت بصواريخ كروز ثم نشر مادمر منها وما بقي . وأعطت بذلك فرصة أكبر من الأقمار الصناعية لمتخذ القرار في إعادة ضرب المبنى المقصود أو الاكتفاء بما تم .

ج) بيع الأخبار بأرخص الأسعار نظراً لقلة التكلفة في جمعها مقارنة بالإمكانات المتوافرة وحجم السوق لهذه الوكالات .

بالإضافة إلى أن بيع الأخبار بأسعار رخيصة سيؤدي إلى إماتة دور الوكالات الإقليمية ثم المحلية من خلال خطة اقتصادية متوسطة أو طويلة المدى .

د) عدم وجود الرقابة السياسية المفروضة على هذه الوكالات كما هو الحال في وكالات الأنباء المحلية .

هـ) سرعة نقل الخبر وذلك لكثرة عدد المراسلين وانتشارهم ثم لاستخدام هذه الوكالات لأحدث الأجهزة في مجال الاتصالات .

بعد أن عرفنا تحكم هذه الوكالات في نشر الأخبار يمكننا الآن الحديث عن دورها في توجيه الخبر وتحويره أو إماتته . فهناك قاعدة معروفة عن الإعلاميين ؛ أن أي خبر يراد إماتته يتم ذلك بعدم نشره وبذلك لن يتحدث عنه الناس [1].

(١) انظر د. محمد فريد عزت : نشأة وسائل الإعلام السعودية والعالمية، دار الشروق، جدة، السعودية، ١٤٠٣هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبهذا لعبت هذه الوكالات دوراً كبيراً في إماتة الكثير من القضايا الحية بالنسبة لدول العالم الثالث في حين أبرزت آلاف الأخبار عما يحدث في أوربا وأمريكا . فمن معدل ما ترسله إلى إذاعات وتلفزيونات وصحف العالم توجد نسبة ٢٠٪ إلى ٣٠٪ فقط من أخبار دول العالم الثالث في حين الباقي يمثل أخبار أوربا وأمريكا . مع العلم أن أوربا وأمريكا لا يشكلان سكانياً سوى ٢٠٪ من مجموع دول العالم [١].

أما تحوير الخبر فهناك نظرية إعلامية تسمى نظرية حارس البوابة[٢] والتي تتضح معالمها في وكالات الأنباء بالذات . فالنظرية ترى أن مراسل وكالة معينة في مدينة بومباي مثلاً في الهند ، عندما يرى حادثاً ينقله إلى رئيس فرع الوكالة في الهند بحسب ما رآه أو بحسب قدرته على الوصف وبحسب المعلومات التي استطاع جمعها . ولا ينسى إن كان للحادث ارتباط بعقيدة أو لغة أو قبيلة المراسل نفسه وما لذلك من تأثير في طريقة صياغة الخبر أو إضافة أو حذف جزء منه ثم ينقل الخبر إلى رئيس الفرع في الهند الذي يقوم بدوره بربط الخبر ضمن أخبار أخرى أو إجراء تعديلات في الصياغة أو إضافة معلومات لم تتوافر للمراسل حين كتابة الخبر . ثم يقوم بإرسال الخبر إلى مقر الوكالة الرئيسية في أوربا أو أمريكا وهناك أيضاً يترجم الخبر وتعاد صياغته وقد تضاف معلومات أو تحذف أخرى لعدم أهميتها ثم يرسل إلى المشتركين .

هذه السلسلة التي مر عليها الخبر يتم خلالها تعديل أو تحوير أو إضافة أو حذف جزء أو أجزاء من الخبر من خلال هؤلاء الحراس الذين تفترضهم النظرية .

---

(١) انظر د. مصطفى المصمودي، مصدر سابق .

(٣) د. جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص ٢٩٥

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولأن الوكالات جميعها غربية فيمكننا أن نتصور مدى تركيزها على قضايا محددة مضادة للغرب ومدى تركيزها على قضايا أخرى لصالح النفوذ الغربي . ومثال تغطية أخبار أفغانستان خلال الحرب مع الشيوعيين وتغطية الأخبار خلال المعارك بين الصرب والمسلمين بين والصرب والكروات وبين الكروات والمسلمين ، كل ذلك عبارة عن أمثلة توضح خطورة احتكار توزيع الأخبار وجمعها من خلال خمس وكالات غربية وبالتالي دور ذلك في تشكيل الثقافات في الدول المستقبلة .

٦) نشر الأفلام والمسلسلات الغربية بأرخص الأسعار :

كان من الطبيعي في فترة انتشار التلفزيون في دول العالم الثالث الاستعانة بالأفلام والمسلسلات الغربية لعدم توافر الإنتاج المحلي في تلك الحقبة ، وقد أدى هذا الانتشار إلى نظرة المشاهد في دول العالم الثالث إلى أسلوب إنتاج هذه الأفلام والمسلسلات على أنه مثالي أو **Model** وهذا متوقع لأن التلفزيون والسينما في الدول الغربية قد سبق التلفزيون والسينما في دول العالم الثالث بعدة عقود . وقد حاول الإنتاج المحلي مجاراة الإنتاج الغربي في القصة والمضمون لكنه لم يفلح في مجاراته في أساليب وإمكانات الإنتاج والتي تضخ لإنجاحها رؤوس أموال ضخمة من مؤسسات الإنتاج ومن البنوك المستثمرة في مجالات الإنتاج.

وبرغم النجاح الذي حققه الإنتاج المحلي معتمداً على عنصر اللغة المحلية في الحوار ، إلا أن المشاهد ظل ينظر إلى هوليود على أنها قبلة الفن لا منازع في ذلك . ولأن فلسفة الإنتاج في هوليود قائمة على الحصول على تكلفة الفلم أو المسلسل ونسبة جيدة من الأرباح من التسويق المحلي للفلم أو المسلسل داخل أمريكا فقد بلغ عدد دور السينما الثابتة بحسب إحصاءات

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اليونسكو[١] في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩١ [٢٣٦٦٢] سينما يضاف لها [٩٠٨] سينما السيارات [وهي ميادين ضخمة يدخل فيها المتفرج بسيارته لمشاهدة الأفلام] وفي نفس العام بلغ عدد المرتادين لهذه الدور السينمائية الثابتة وسينما السيارات [٩٨١,٠٠٠,٠٠٠] مشاهد أي أن المواطن الأمريكي دخل دار السينما أربع مرات في تلك السنة إذا قسم هذا العدد على مجموع السكان .

وقد حققت شركات الإنتاج السينمائي في عام ١٩٩١ إيرادات وصلت إلى [٤,٨٠٣,٠٠٠,٠٠٠] دولار أمريكي ، فقد ساعد ذلك على نشر الفلم أو المسلسل الأمريكي خارج أمريكا بأسعار زهيدة مقارنة بتكلفة إنتاجه .

وتعد الهند الدولة الوحيدة التي حافظت على تفوقها العددي في إنتاج الأفلام وإن لم تستطع أن تتجاوز حاجز اللغة في نشر أفلامها في العالم وحاجز الميزانيات الضخمة التي ترصد لإنتاج الأفلام . واتبعت الهند سياسة هوليود في الاعتماد على تحصيل قيمة الفلم وأرباحه من التسويق المحلي ثم التوزيع بأسعار أرخص خارج الهند.

فقد بلغت عدد دور السينما الثابتة في الهند عام ١٩٩١ [١٣٢٧٥] سينما بالإضافة إلى [١٧٠] سينما متحركة و [٣] ميادين عرض سينما السيارات .

وبلغ عدد المرتادين في ذلك العام [٤,٢٩٧,٥٠٠,٠٠٠] مشاهد وهو يوضح أن نسبة المشاهدة أعلى من الولايات المتحدة حيث بلغت خمسة أضعاف تعداد السكان أي أن الفرد قد دخل إلى السينما خمس مرات في ذلك العام.

(١) انظر كتاب اليونسكو الإحصائي السنوي، مرجع سابق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد استطاعت هوليود الأمريكية أن تفرض الفلم الأمريكي في جميع أنحاء العالم من خلال استراتيجية تتحدد معالمها في هذه السياسات :

أ - نشر الفلم والمسلسل الأمريكي في جميع دول العالم من أقصى اليابان إلى روسيا وحتى جنوب إفريقيا . فإعلانات هذه الأفلام والمسلسلات وأبطالها محفورة في جدران وقلوب وعشاق الأفلام الأمريكية في كل مكان. ولنأخذ أمثلة متعددة لنلاحظ حجم الخطر الذي شكله الفلم الأمريكي.

فالدول الغربية مثل ألمانيا بلغت نسبة الفلم الأمريكي المستورد [٦٨,٥٪] عام ١٩٩٥ من حجم الأفلام المستوردة إجمالاً. وفي فرنسا في نفس العام بلغ الفلم الأمريكي نسبة [٥٧٪] من حجم الأفلام المستوردة. وفي إيطاليا [٦٤٪] من حجم الأفلام المستوردة عام ١٩٩٥ وفي روسيا [٥٩٪] من حجم الأفلام المستوردة في نفس العام . وفي اليابان [٥٩,٧٪] من حجم الأفلام المستوردة عام ١٩٩٣ وهذه نماذج لدول ازدهرت فيها صناعة السينما ومدارسها . بل إن نسبة لا بأس بها من الأفلام الأمريكية صورت من قصص كتابها الأوربيين .

أما دول العالم الثالث فالنسب التي يشكلها الفلم الأمريكي من حجم الأفلام المستوردة كبير ، ففي مصر بلغت نسبة الأفلام الأمريكية المعروضة فيها عام ١٩٩٤ [٧٠,٩٪] من حجم الأفلام المستوردة وفي بربادوس [٩٧,٨٪] من حجم الأفلام المستوردة عام ١٩٩١ وفي كوبا العدو الأكبر للولايات المتحدة [٤٠,٩٪] من حجم الأفلام المستوردة عام ١٩٩٣ وفي قرغيستان [٧٦,٩٪] من حجم الأفلام المستوردة عام ١٩٩٥ وفي لبنان [٨٣٪] من حجم الأفلام المستوردة عام ١٩٩٣ وفي باكستان [٥٨,٤٪] من حجم

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأفلام المستوردة عام ١٩٩٥ وفي سوريا [٨٦,١٪] من حجم الأفلام المستوردة عام ١٩٩٣ بل حتى الهند أكبر منتج في العالم للأفلام تستورد [٧٢,٣٪] من حجم الأفلام المستوردة من أمريكا عام ١٩٩١ .

ب - تحطيم الإنتاج المحلي في جميع دول العالم حتى في أوربا . ولك أن تطلع على تقرير اليونسكو الإحصائي السنوي عن معدل إنتاج الأفلام لكل دولة من دول العالم لترى معدل نزول هذه الأفلام بشكل مخيف في ظل زيادة إنتاج الفلم الأمريكي . ولم يسلم من هذه القاعدة سوى الفلم الهندي الذي ما زال محافظاً على سوقه وحجم إنتاجه(١) .

ج - يقال إن الرئيس الأمريكي روزفلت طلب في اجتماع مع رؤساء كبرى شركات الإنتاج في هوليود أن يرسموا للعالم من خلال صناعة الفلم شخصية الرجل الأمريكي على أنها الشخصية التي لا تقهر . وقد يكون هذا الكلام صحيحاً إذا نظرنا إلى أي شريحة من شرائح الفلم الأمريكي.

فالكاوبوي أو راعي البقر شخصية أسطورية يتغلب على آلاف الهنود الحمر وكذلك الجندي الأمريكي في أفلام كومبت يقتل عشرات الجنود الألمان، ورامبو العظيم وهلم جرا .

والصورة نفسها داخل المجتمع الأمريكي فرجل الشرطة والأفلام البوليسية كلها قائمة على فكرة الرجل السوبر الذي لا يقهر. ولذا فلا

(١) - Jennings Bryant and Dolf Zillman (ed.) , Media Efficts Advances in theory and Research انظر مصدر سابق.
- Robert C. Allen (ed.), To be Cuntenued.. Soap Operas Around the World مصدر سابق
- Stuart Hall and others (ed.) Culture , Media , Language مصدر سابق

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عجب أن يتطور الخيال الأمريكي في فلسفة الرجل الذي لا يقهر حتى في أفلام سوبرمان والوطواط وحتى أفلام الرعب .

ولئن رأى البعض أن هذه الفلسفة لا علاقة للمشاهد بها وأنها فلسفة المنتج ولا تعني ـ بالضرورة انتقالها للمشاهد ـ فهذا في الحقيقة قمة الخطأ . فالإنسان بطبيعته متقمص لما يراه في حياته من أشخاص وقدوات سواء كان ذلك في صفات الخير أو الشر .

ولذا فمن الطبيعي أن يموت شبابنا وفتياتنا هياماً بمايكل جاكسون و مادونا في الغناء و جون ترافولتا في الرقص و مارادونا في الكرة ورامبو في العضلات ، فلقد رأوا هؤلاء الفنانين يرتمي بين أيديهم ملايين البشر فلماذا لا يكونون هم أيضا ؟! . إن نزعة التقمص الموجودة في نفوسنا تدفعنا إلى ذلك .

إن الفلم والمسلسل الأمريكي لم يعد خطراً على الفكر فقط بل أصبح ماسحاً لجميع المساحات البرامجية في قنواتنا . فهو أرخص ثمناً وأجود إنتاجاً ، ثم بالتالي أكثر شعبية .

ولك أن تتصور المضامين والعقائد التي يمكن أن ينشرها هذا الفلم وذاك المسلسل في أمة تتعشقه . لقد أصبح عادياً أن يخرج الفتى مع صديقته للسهر معها ثم أصبح عادياً للزوج أن يتعرف غيرَ زوجتِهِ أو العكس في ظل التركيز المتواصل المطروح في هذه الأفلام في مجتمعاتنا الشرقية المحافظة .

٧ - نشر أفلام الكرتون

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تعد أفلام الكرتون أحد أهم برامج التلفزيون في جميع أنحاء العالم ، وقد تغيرت صورة أفلام الكرتون من فن يعتمد على تصور اللاممكن واللامعقول إلى قصص من التراث العالمي والأوربي .

وإن كان والت ديزني حجر الزاوية في هذه الصناعة فإن شركات أخرى مثل وارنر وحنّا وشركات يابانية استطاعت أن تقتسم المساحات الزمنية التي طالما ملأتها شركة والت ديزني بأفلامها .

ولسنا هنا في مجال توضيح تاريخ هذه الصناعة أو تقنيتها ولكننا بصدد الحديث عن خطرها الفكري وانتشارها في تلفزيونات دول العالم الثالث بشكل كبير .

إن أكبر شريحة من المشاهدين تتعرض لأفلام الكرتون هم الأطفال بين سن سنتين إلى ١٦ عاماً . ثم تمتد بعد ذلك شريحة أخرى من المتعلقين بهذا الفن إلى أعمار أخرى غير محددة . ونظراً لأن فلسفة هذا الفن قائمة على اللاممكن واللامعقول فإنها تفتح في الأطفال باب الخيال إلى أقصى مداه . وتصور لهم مشاهد مضحكة لا يمكن التعبير عنها من خلال ممثلين أو دمى .

والخطر الكامن في أفلام الكرتون هو القصص التي تتعرض لها أو الأفكار التي تبنى عليها ، فالقصص التي تم إنتاجها على شكل أفلام طويلة أو قصص مسلسلة تدور دائماً حول قصص الحب ومغامراته .

وقد نجحت شركات الإنتاج في تصوير قضية الحب بأسلوب خطير يصور العلاقة بين العاشقين على أنها مثالية وقصص سندريلا وعلاء الدين وغيرها مثال على ذلك . والخطر يكمن في نوع الجمهور المتلقي فهم أطفال من سن [٢ -١٦] سنة وهذا السن يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

[٢ -٩] سنوات حيث البناء للمعلومات والأفكار ثم من [٩ -١٢] سنة حيث المقارنة بين ما بني والواقع المحيط ببيئة الطفل ثم من [١٢ -١٦] سنة حيث الرغبة في ممارسة ما تم تعلمه أو على الأقل الاقتناع بصدقه أو كذبه من دون ممارسته بسبب العوامل الاجتماعية المحيطة .ولك أن تتصور حجم الانتشار الكبير لمفهوم الجنس والعلاقات والصداقات بين الجنسين التي أصبحت رمزاً للجيل الجديد في الغرب والتي يعود جزء منها إلى ما ذكرناه من أن النشأة والتعود على مشاهدة قصص عاطفية منذ الصغر وحتى سن المراهقة سيولد حتماً مثل هذه الأفكار لدى الأجيال في الغرب خصوصاً إذا علمنا أن حجم مشاهدة الأطفال لأفلام الكرتون مقارنة بالبرامج الأخرى يزيد عن [٦٠٪] من حجم المشاهدة .

أما الخطر الثاني الذي تقوم عليه أفلام الكرتون فهو الأفكار التي تبنى عليها خصوصاً الأفلام القصيرة ، حيث تتركز فكرة العنف على مجموعة من الأفلام مثل [ماسك] وتتركز فكرة الفضولية في أفلام مثل [بنك بانثر] و[ودي بيكر] كما تتركز فكرة انتصار الضعيف بأي وسيلة على أفلام مثل [توم وجيري]وكذلك فكرة الإغراء الجنسي في أفلام [بابي – وميكي ماوس]

وهناك خطر أكبر في الأفلام التي تصور الرب [جل الله عما يصفون]. والملائكة والشيطان وآلهة السحب والبحار والرياح كما في الأساطير اليونانية وكم عانى مَن هم مثلي أثناء دراستهم في الغرب في شرح خطأ هذا المفهوم لأبنائنا دون سن الخامسة عندما شاهدوا مثل هذه الأفلام في الغرب.

وتقوم القنوات المسيحية بتصوير أفلام كرتون عن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف عليهم السلام وغيرهم بتصورات يدخل

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيها ما ورد في التوراة والإنجيل ولكن ريشة الفنان وقلم كاتب السيناريو يضيفان على القصة [بحجة الفن] لقطات عاطفية وتقريب لصورة الرب [تعالى الله عما يصفون] أما الخطر على عالمنا الثالث فهي كذلك مشكلة الاستهلاك فهذه الصناعة بالرغم من قيام جزء كبير منها على التمويل المالي في حال توافر القصص إلا أننا مستهلكين للإنتاج الأمريكي والياباني .

ولتقريب صورة الخطر أذكر أني حضرت محاضرة للدكتور جيف منجم رئيس قسم الأبحاث في قسم الصحافة في جامعة ويلز عام ١٩٨٩ عن خطر الفلم الأمريكي على المشاهد البريطاني . وكان أهم ما قاله [إن أطفالنا البريطانيين لكثرة مشاهدتهم لأفلام الكرتون أصبحت لهجتهم أمريكية وأفكارهم تجاه الموضة أمريكية ورغبتهم في العنف أكبر] إنه يتحدث عن دولتين غربيتين تتحدثان نفس اللغة ولكن بلهجتين مختلفتين ومن مجتمعين أحدهما بريطاني محافظ قليل الجريمة مع آخر أمريكي متحرر وكثير الجريمة مع ذلك يرى أن الخطر يتهدد الجيل الجديد في بريطانيا.

ولقد زاد إنتاج أفلام الكرتون اليابانية وإن كان بجودة أقل من الأفلام الأمريكية الأمر الذي جعل التنافس على أسواق العالم الثالث أكبر . ونظراً لأن فلسفة إنتاج هذه الأفلام في أمريكا وكذلك في اليابان قائم على الاستثمار في السوق المحلي أولاً بإخراج تكاليف المشروع وأرباحه منه ثم نشره خارج الحدود بأسعار أقل وكذلك إنتاج الفلم سينمائياً في الغالب للقصص الطويلة وطرحه في السينما لعدة أعوام ثم على شكل أشرطة فيديو فقد أتاحت هذه السياسة استثمارات وعائدات ضخمة لشركات الإنتاج .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولذا يتم بيع حقوق عرضه في تلفزيونات دول العالم الثالث بعد ذلك النجاح بدولارات معدودة لكل ساعة إنتاج . وبذلك يحقق القائمون على تلفزيونات دول العالم الثالث مكاسب اقتصادية بملء ساعات البث ببرامج رخيصة الثمن ومكاسب شعبية حيث حب الجمهور والأطفال على وجه الخصوص لهذه البرامج.

وقد تعلق أطفال العالم الثالث بهذه الأفلام بالرغم من حاجز اللغة فبعضها بالإنجليزية أو الفرنسية أو اليابانية . ولكن الأطفال استخلصوا من هذه الأفلام فكرها وفلسفتها . ولم تشهد محاولات جادة في ترجمة هذه الأفلام إلا في بداية الثمانينات الميلادية حيث بدأت استيديوهات بيروت في ترجمة هذه القصص مثل هايدي والبؤساء وغيرها .

وبالرغم من أن الترجمة تعتبر قناة لتصفية الأفكار والأسماء والمشاهد التي لا تتناسب مع المجتمع إلا أن المترجمين الأوائل كانوا من نصارى العرب الذين لا تمثل قضية الهوية الإسلامية أو أسماء لورانس وهايدي وجورج عقدة عندهم .

وأول محاولة في الترجمة كانت تحمل روحاً قومية عربية هي ترجمة مسلسل كابتن ماجد الياباني . فقد لاقى انتشاراً واسعاً وتعلق به الأطفال حتى أصبح رمزاً يلصق على الحقائب المدرسية وملابس الرياضة وأحذيتها ودفاتر الطلاب ومساطرهم وفي ظني أن هذا المسلسل كان نقطة تحول في دخول شركات الإنتاج السورية والأردنية في حلبة الترجمة لأفلام الكرتون اليابانية .

ومن حسن الطالع أن القائمين عليها من القوميين أو الوطنيين المسلمين الذين حرفوا بعض النصوص وغيروا الأسماء إلى أسماء عربية وبجودة في الأداء جيدة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذه الترجمة خففت من حجم الخطر القادم من هذه الأفلام حيث انتقاؤها كان أفضل والتصرف في الترجمة خفف من خطرها ، إلا أنها ساهمت في زيادة جمهور أفلام الكرتون بشكل أكبر من ذي قبل نتيجة كسر حاجز اللغة .

وظل الفلم الكرتوني الأمريكي حبيس اللغة الإنجليزية إلى أن تداركت شركات الإنتاج الأمريكية سحب الفلم الياباني للبساط من تحتها بأن قامت بترجمة أفلامها إلى العربية وغيرها ولكن من خلال فريقها ودون تحريف في قصصها أو أسماء شخصياتها . وقد حدث ما كان متوقعاً .

فبالرغم من الترجمة باللهجة المصرية بدلاً من اللغة العربية الفصحى فقد اكتسح سوق هذه الأفلام سوق الدول العربية بشكل كبير ولم يصمد الفلم الياباني إلا بكثرة أسمائه وتنوع منتجاته وانخفاض سعر شرائه .

وهذا الخطر في زيادة انتشار هذه الأفلام باللغات المحلية في دول العالم الثالث سيزيد من حجم تعرض أبنائها لأفكار وفلسفات مجتمعات مختلفة وستؤدي لا محالة إلى تغيير في سلوك الأجيال نحو قضايا الجنس والعنف والبيئة .

كما أن الخطر الأكبر القادم هو أفلام الكرتون المنتجة للكبار والتي انتشرت خلال العقد الماضي في أمريكا وأوربا وتبث ليلاً لما تحتويه من مناظر فاضحة وأفكار وأخلاق مبتذلة وجمهورها بالرغم من كونه من البالغين إلا أن نزولها الأسواق على شكل أشرطة فيديو سيزيد من حجم تعرض الأطفال لها .

ونرجو أن لا تتجرأ محطات تلفزيونية في دول العالم الثالث على القيام بعرض هذه الأفلام وينبغي أن لا نغفل محاولات شركات محلية في الدخول

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في مجال إنتاج هذه الأفلام في تركيا والسعودية وسوريا والكويت فهي محاولات جادة وتحتاج إلى دعم فكري ومادي لتحسين جودة إنتاجها وانتقالها من المحلية إلى العالمية .

٨ - المسلسلات المد بلجة :

ذكرنا سابقاً أن ترجمة الأعمال الفنية إيجابية في تصفية الأفكار الواردة في هذه الأعمال سواء كانت أفلاماً سينمائية أو أفلام كرتون أو تمثيليات تلفازيه .. إلا أن العقد الماضي شهد تطور سلبياً في الأعمال المد بلجة يشكل خطراً حقيقياً على الفكر والأخلاق[١] . إن هذا التطور يكمن في ترجمة ودبلجة مسلسلات من أمريكا الجنوبية والمكسيك إلى اللغة العربية وقد تم قبل ذلك في دول أخرى كتركيا ترجمة ودبلجة الكثير من الأعمال الفنية الأمريكية .

بدأت الفكرة في أن هذه الأعمال ذات سمعة وقبول جماهيري في دولها بالإضافة إلى انخفاض سعرها وطول حلقاتها التي تصل في بعضها إلى أكثر من ثلاثمائة حلقة يمكنها بذلك أن تملأ الكثير من ساعات البث في محطاتنا بجودة أعلى [فنياً] من إنتاجنا في مجال المسلسلات[٢] كما أنها حلقات متتابعة لا تنتهي كما هو الحال في مسلسلاتنا التي اعتاد الناس على أرقام حلقاتها الثلاث عشرة أو الثلاثين في المسلسلات الرمضانية .

والأهم من ذلك موضوعاتها فهي تناقش موضوعات لا يستطيع كتابنا ولا مخرجونا في المرحلة الحالية تقديمها لجمهورنا المحافظ كموضوع

---

(١) Marie Gillespie, Sacred serials devotional viewing, and domestic wership, Roberte Allen (ed) مصدر سابق.

(٢) Jesus Barber, Memory and form in the Later American Sope Opera , Ana Lapez, Our Welcomed gest ; Tele novellas in Latin America, 1999.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحمل بدون زواج ومصادقة ومعاشرة الأم والابنة في نفس الوقت لنفس الرجل وموضوعات الشذوذ الجنسي إلى غير ذلك كما أن الملابس القصيرة جداً للممثلات وبروز الممثلين في أوضاع مثيرة جنسية في غرف النوم مع الممثلات ، كل ذلك من الأمور التي جعلت لهذه المسلسلات أسلوباً خاصاً في الأداء والطرح .

وللحديث عن خطر هذه المسلسلات علينا التذكير بأن فكرة المسلسلات فكرة تلفزيونية قائمة على تصوير ما يعيشه الإنسان في حياته اليومية في محيط أسرته أو عمله كما أنها تعرض مشكلات كل مجتمع وتطرح الحلول التي يراها الكتاب بحسب خلفياتهم الفكرية والعقدية . ولا يوجد لهذه المسلسلات قانون واحد في التعامل مع القضايا الاجتماعية العامة كتربية الأبناء والعلاقة بين الزوج والزوجة أو العلاقات مع محيط الأسرة وفي الحي والمدرسة والعمل وكذلك الحال في تعاملهم مع أمراض المجتمع كالشذوذ والعلاقات خارج الزواج والرشوة والكسب غير المشروع.[١]

ففي الدولة الواحدة في الغرب أو أمريكا الجنوبية تجد مسلسلاً يتحدث عن موضوع كتربية الأبناء من وجهة نظر المحافظين مثل مسلسل **LITTILE HOUSE** البيت الصغير ليتحدث عن الكذب والكسل والجريمة بما يتناسب مع الأخلاق العامة ، في حين نجد مسلسلاً آخر يتحدث عن التربية بطريقة مغايرة تماماً مثل مسلسل بيفرلي هيلز والذي يتحدث عن تربية الأبناء في جو منفتح على جميع معطيات المجتمع وشذوذه .

(١) - Robert C. Allen (ed.), To be Cuntenued.. Soap Operas Around the World مصدر سابق

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكذلك الحال بالنسبة للأفكار الأخرى التي تجعل المحامي متأكداً من قتل موكله للضحية لكنه يستخدم كل أسلوب لينتصر في إصدار حكم البراءة له من المحكمة مبرراً ذلك بأنه جزء من عمله حتى وإن كان فيه طمس الحقائق .

إن هذا التبدل الخطير في تقديم الشذوذ على أنه طبيعي لدى فئة من الناس سواء كان ذلك في الجنس أو الكسب أو الأخلاق قدم نماذج لمجتمعات الغرب تربى عليها أجيال من أبنائهم وبناتهم ، ساهمت مع غيرها من العوامل في انتشار الفساد الأخلاقي والمالي والجنسي في مجتمعاتهم . والأخطر أن هذه المسلسلات بعضها يمتد إلى أكثر من خمس وعشرين سنة مثل [ذي كورنيشن ستربت و نيبرز].

لكننا نقول دائماً أن هذه الأفكار بنات مجتمعاتها وليس لنا دور في تحسينها أو تعديلها لكن الخطر بدأ يتضح الآن عندما وصلت لنا بعض هذه المسلسلات مدبلجة إلى العربية وقبلها إلى التركية .

هنا بدأنا نلاحظ حجم الخطر حيث قام بالترجمة شركات لبنانية مسيحية لا تمانع في طرح هذه القضايا وترجمتها ، وبدأ بثها في البداية من قناة **LBC** اللبنانية المسيحية وبذلك عرضت دون تصفية للفكر ولا للشكل وتمت التجربة وزاد حجم الجمهور لهذه المسلسلات من الشباب وبدأ الصحفيون والكوميديون يقرعون الطبل كل بأسلوبه ليوضحوا خطرها .ولكن فكرها الجديد وطريقة عرضها وملل المشاهد من الإنتاج المحلي زاد من عطاء هذه المسلسلات فبدأت قناة **MBC** ثم باقي محطات التلفزيون الحكومية مثل سوريا والجزائر والإمارات في عرض هذه المسلسلات .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٩- نشر القنوات الفضائية الغربية ضمن منظومات الأقمار الصناعية في دول العالم الثالث:

ومن المسلَّم به أن القنوات الإخبارية الغربية مثل **CNN** و **BBC** وغيرها ذات نفوذ عالمي[١] في حجم المشاهدة نتيجة لعدد مراسليها ومتابعتها للخبر لحظة وقوعه . لذلك أصبحت هذه المسلَّمة وسيلة لأصحاب القرار في دول العالم الثالث في جعل هذه القنوات ضمن مجموعة القنوات التي تبث ضمن الأقمار المستأجرة أو المملوكة مثل عرب سات وغيرها .

وأصبحت هذه القنوات بتوفيرها للخبر وسيلة أخرى في صياغة الرأي العام[٢] وتشكيل عقول النخبة وبمتابعة سريعة لمقالات كتاب صحفنا في الشرق الأوسط يمكننا بسرعة ملاحظة تبني أفكار هذه القنوات من التيار الليبرالي وانتقادها الشديد من التيار المحافظ وحتى لا أتهم بالعمومية والسطحية فكر معي في موقف التيار الليبرالي من عملية السلام مع إسرائيل وهل تخرج طروحاتهم عن الطرح المعروض في هذه القنوات.

وقس على ذلك قضية الاقتصاد الحر ووضع المرأة في أفغانستان في ظل حكم طالبان والموقف من العراق وكوبا وكوريا الشمالية . إنها ترجمات لكلمات ومصطلحات ومضامين نشرت في هذه القنوات وتم إعادة صياغتها بلغاتنا المحلية وتحسين وجهها بإضافة نقد خفيف أو جمل اعتراضية لشرح بعض المصطلحات والمضامين .

وفي المقابل تأثر التيار المحافظ بهذه القنوات أيضاً ، وتحول لا إرادياً إلى متابع أول لكل ما تطرحه بحجة الدفاع عن القيم الوطنية والدينية ،

---

(١) Maxwell McCombs, News influence on our pictures of the World, in Bryant and Zillmann (ed)1994. □

(٢) Marina Heck, The ideological dimension of media messages, in Stuart Hall and others1992

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وإليك مثالاً آخر ليوضح الصورة ، فعندما تتحدث هذه القنوات عن أخطاء طالبان في التعامل مع المرأة من المنظور الغربي ويقوم الكتاب الليبراليون المحليون بالمساهمة في ترجمة ما يطرح ينبري المحافظون للدفاع عن طالبان وعن مكانة المرأة في الإسلام ملبسين الواقع في أفغانستان بإيجابياته وسلبياته على الإسلام . فيقدمون لنا صورة المرأة في أفغانستان على أنها النموذج المفترض من المرأة المسلمة أن تتقمصه ... إلخ .

وقس على ذلك الدفاع عن تخلفنا التعليمي والسياسي بحجة أنها امتداد للتصور الإسلامي في التعليم والحكم .

إن هذا الانجراف نحو الدفاع لمجرد الدفاع والهجوم لمجرد الهجوم هو نتيجة للطرح الغربي بهذه القنوات ، ففريق ينظر إلى الغرب على أنه الحضارة الواقعة وأن اللحاق بها يجب أن يكون من جميع الأبواب الفكرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية .

والفريق الآخر مقتنع بحجم الفشل السياسي والاقتصادي والتعليمي الذي نعيشه وحجم التقدم الذي يعيشه الغرب لكنه يرى أن الحفاظ على الواقع في دولنا بأخطائها أفضل من التفكير في التغيير لأن دعاة التغيير الليبراليين ليس لديهم أمثلة على أهمية التغيير إلا الديموقراطية في السياسة والحرية في الاقتصاد وتحرير المرأة في المسائل الاجتماعية .

ولمعرفة تأثر الفريقين بهذه القنوات سلباً انظر لما أحدثته قناة الجزيرة الفضائية من تغيير في خريطة الفكر العربي عندما رفعت شعار الرأي والرأي الآخر ، فقد اتهمت بكل أنواع التهم من الفريقين الليبرالي والمحافظ ، فكل واحد منهم أسندها - ودلل على ذلك بكل ما يستطيع - إلى المعسكر المعادي له، فقد اتهمها الليبراليون بأنها حكر على

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الإخوان المسلمين بدءًا من الشيخ القرضاوي ولحاقاً ببعض مذيعيها كأحمد منصور ومراسليها كأسعد طه وغيره ، ورد المحافظون بأنها صنيعة إسرائيل وألفوا لها أدلة تؤكد أنها ممولة من إسرائيل ويهود العالم ، وقاموا بتحليل برامجها من خلال نظارة ذات لون واحد ، ترى أن وجهاً لوجه ، وللنساء فقط ، والرأي الآخر إنما هي أمثلة للسموم التي تحاول الجزيرة تقديمها ضمن العسل الإخباري الذي تقدمه ، لكن العجيب أن الجميع يتابعها والجميع يحاربها وهي دلالة واضحة لحجم التأثير الغربي على الفكر المحلي ، فقد أدت نظرتنا إلى الغرب وقنواته وسياساته اقتناعنا بعدم إمكانية تطورنا بالوصول إلى قناة عربية يمكنها أن تطرح الرأي وضده.

ولم يحمِ الجزيرة من هذين المعسكرين إلا محاربة أمريكا العلنية لقناة الجزيرة وحديث المتحدث باسم البيت الأبيض عنها وطلبه الصحفيين الأمريكيين عدم الأخذ عنها ثم طلب وزير الخارجية الأمريكي من أمير دولة قطر التحكم فيها ثم حديث أوربا عنها عند ذلك فقط بدأ المعسكران ينظران إليها نظرة أقل حدة من النظرة السابقة .

وكما أقدم أصحاب القرار في الأقمار الصناعية المحلية على طرح قنوات الأخبار كضرورة ضمن منظومة قنواتهم طرحوا معها قنوات عامة ليست إخبارية من باب التفريج والترفيه عن مواطني أو متحدثي لغات بعينها، فالقناة الفرنسية **TV5** والقناة الألمانية والقناة اليابانية والإيطالية والأسبانية والهندية كلها قنوات تم اختيارها على أنها قنوات تخدم مواطني هذه الدول في بلادنا .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأن هذه القنوات عامة وليست مخصصة للجنس أو التنصير ، ولكن كم أخطأ هؤلاء في قرارهم فالمسألة ليست عُرياً أو تنصيراً بل المسألة هوية وثقافة توظف وشعب مُلْقٍ وشعب متلقٍّ.

لماذا لم يفكر هؤلاء أننا لا نستطيع طرح عرض قنواتنا (رغم رداءة طرحها) في منظومات (ستار) في أوربا أو عشرات المنظومات في قنوات الكيبل في أمريكا ؟ بل لماذا لا يحرض البريطانيون والأمريكان على شعور اليابانيين والألمان والإيطاليين بعرض قنواتهم في هذه الدول ؟

١٠- إنشاء قنوات فضائية غربية تتحدث باللغات المحلية موجهة لدول العالم الثالث مماثلة للإذاعات الموجهة BBC و VOA صوت أمريكا RMC راديو مونتكارلو .

بعد نجاح على مدى أكثر من ٦٠ عاماً في الإذاعات الموجهة من الشمال إلى الجنوب ، وبعد أن أصبحت مقولة الممثل دريد لحام في إحدى مسرحياته (افتح على لندن لنعرف ما يحدث عندنا) حقيقة ، حيث فقد المواطن ثقته في حكوماته وإذاعاته ومل وهو يبحث عن اسم المصدر المسؤول الذي يصرح ولا يعرف من هو ويأتي تصريحه بعد أيام من الخبر ، هذا الموطن الذي أصبح جزءٌ من برنامجه اليومي متابعَة هذه الإذاعات أصبح اليوم أكثر من أي وقت مضى جاهزاً لتقبل قنوات فضائية غربية باللغات المحلية.

فقد تلقَّى القنوات الغربية الفضائية مثل **CNN** و **BBC** برغم عجزه عن فهم اللغة الإنجليزية في متابعة أحداث حرب الخليج الثانية وحرب أفغانستان الثانية كما أن القنوات العربية الموعودة لم تصل إلى ما توقعه من الخروج من دائرة قناته الوطنية إلى قنوات مختلفة عن جيران وطنه، فقد وجد الجميع في نفس المستوى من التخلف والتأخر .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولك أن تفتح قناة العراق شرقاً ثم عرج على قناة سوريا والأردن ودول الخليج واليمن واعبر البحر إلى مصر والسودان ثم ليبيا (العظمى) وتونس والجزائر والمغرب وقف في موريتانيا وتأمل .

ما هو الجديد في هذه القنوات من الناحية السياسية ؟ الكل يمجد رؤساءه وحكوماته ويقدم طرح أخبارهم المهمة أحياناً وغير المهمة دائماً على خبر احتمال نشوء صراع نووي بين باكستان والهند وخبر تحطُّم طائرة جامبو ومصرع جميع ركابها وخبر انفجار في القدس وانهيار بورصة ماليزيا وغير ذلك .

بل إن جميع هذه القنوات تمجد في أغانيها شخص الرئيس وليس النظام السياسي أو الفكري الذي تقوم عليه الدولة سواء كانت من دول الثوار أو من الدول الأخرى .

وإذا سألت عن الجديد في هذه القنوات في نوعية البرامج فسيرتد إليك طرفك خاسئاً ، فلا فرق بينهم حتى في نوع البرامج ، مسابقات وبرامج أطفال تقليدية ثم برامج الرياضة وأخيراً وأولاً مسلسل مصري تفتتح به القناة وتختتم به.

لقد وصل الأمر إلى أن تجد المسلسل الواحد مثل (عائلة الحاج متولي) يعرض في أكثر من عشر قنوات في نفس اليوم خلال شهر رمضان .

ولم يخرج من هذه الدائرة إلا القنوات التجارية مثل قناة **LBC** و المستقبل و **MBC** في الأخبار والتي تخصصت في تقديم المرأة اللبنانية في أسوأ صورها ، فهي المذيعة في الأخبار والراقصة في الفيديو كليب ومذيعة برامج اللقاءات مع الفنانة وقارئة الطقس ومحور برامج المسابقات ولا يمكن أن ننسى أنها فتاة الإعلان .

هذه الصورة التي قدمتها هذه القنوات الثلاث خصوصاً وغيرها بشكل عام عن الفتاة اللبنانية (المسيحية خصوصاً) رسمت صورة نمطية لها بأنها

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لعوب غير جادة وأن الهدف الأول في اختيارها شكلها وتغنجها وتكسرها قبل دراستها وحرفيتها ، ولك أن تسمع أبناء الخليج وهم يتحاورون معهن لتعرف حجم المأساة في تخلفنا الاجتماعي بشقيه غير المتحضر في الحديث مع الفتيات وتخلف هؤلاء الفتيات في تقديم أجسادهن للجمهور بدلاً من البرامج التي افترض لهن تقديمها .

والخطر الأكبر سيكون قريباً عندما تبدأ القنوات الغربية ببث برامجها باللغات المحلية فهؤلاء الفتيات سيكن في أول قائمة المذيعات وأما مقدمو الأخبار أو البرامج الجادة فلن يخرجوا عن دائرة مذيعي القسم العربي في إذاعات **BBC** و **VOA** و **RMC** وغيرها .

وبذلك سيكون المعد غربياً كما هو الحال في هذه الإذاعات الآن والمقدم عربياً أو تركياً أو باكستانياً أو غير ذلك ، وستترجم الأفلام والمسلسلات أو تدبلج إلى اللغات المحلية كما يحدث مع المسلسلات المكسيكية وتقدم الأغاني الغربية مترجمة في أسفل الشاشة بكلماتها الفاضحة وستقدم فتيات قنوات لبنان معظم برامج الترفيه ، وسيطالعنا المسؤولون في وزارات الخارجية والدفاع وغيرها في أوربا وأمريكا ليتحدثوا لنا عن مواقفهم تجاه قضايانا في برامج إخبارية مؤثرة وستكتمل الصورة بالحديث مع مفكري الغرب واستعراض أدبياتهم وتقديم برامج عن أوطاننا بصورة جديدة على نمط (السياسة بين السائل والمجيب) .

كل ذلك سيوفر ملاذاً آمناً لمواطنينا بعيداً عن قنواتنا المحلية والحديث عن استقبالات الزعماء ووداعهم وسيوفر عرياً أكثر لراغبي مشاهدة هذه البرامج أكثر مما يعرض في قنوات **LBC** و **MBC** والمستقبل ، ولتقريب الصورة ستكون النماذج أقرب إلى روزانا في **MBC** وبالليل ياعين في **LBC** ورولي على الهواء في المستقبل .

وفي المجال الإخباري ستتفوق على قناة الجزيرة في تقديم الرؤساء والوزراء الأوربيين والأمريكان يومياً للحديث مع مشاهدينا كما ستكسر

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحاجز السياسي الذي لم تستطع أن تكسره قناة الجزيرة في الحديث عن ملوك ورؤساء الدول في الخليج والعالم العربي وحاجز نقد الدين الإسلامي من خلال نقد التطرف الإسلامي .

والأخطر من ذلك أن تصنف هذه القنوات الناس والدول إلى معسكرات الخير الشمالي وأتباعه والشر الجنوبي وأعوانه ، كما ستقدم لنا مفاهيم جديدة للعلاقات الأسرية وأنماطاً جديدة من الشذوذ المحمود والحرية الاجتماعية ، وسيحدد لنا مفهوماً جديداً للحق لا ينطلق من الدين وإنما من القوة ، وسنعرف عندها أن ثقافتنا جزء من الماضي وأن ذلك مكانها الطبيعي وأن الثقافة الغربية والمنزل الغربي والسياسي الغربي ورجل الأعمال الغربي نماذج القرن الحادي والعشرين .

يومها سنعرف حجم مأساة الفلبينيين الذين مسخت ثقافتهم واستبدلت بها الثقافة الغربية وأصبح كل شيء في حياتهم غربي الشكل والمضمون بدءاً من الدين إلى اللباس والغناء والفكر والثقافة ولم يعد لهم سوى الشكل الآسيوي ولو استطاعوا تغييره لما تأخروا عن ذلك .

إن هذا الكلام ليس ترفاً فكرياً ولكنه واقع قادم **فلقد رصد الكونجرس عام ٢٠٠٢م مائة مليون دولار لعمل قناة تلفزيونية باللغة العربية (قناة الحرة)** وكذلك فعلت إسرائيل وهي تتحدث الآن عن قناة تلفزيونية عربية وقد بدأت **BBC** بثها التجريبي قبل عدة سنوات ثم تأخر موعد البدء، وكذلك فرنسا تدرس المشروع .

ولك أن تدرك حجم الخطر إذا علمت أن ميزانية **AOL** صوت أمريكا والإشراف المباشر عليها من وزارة الخارجية الأمريكية وكذلك الحال بالنسبة لإذاعة **BBC** حول العالم وأن المسألة ليست ضمن لائحة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العرض والطلب الاقتصاديين وإنما استراتيجية مصالح اقتصادية سياسية عسكرية لدول الشمال يتم تنفيذها في دول الجنوب .

الخاتمة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ هذه السنة في التغير تحدث الخير والشر في مجتمعاتنا فمن رغب في الانطلاق نحو العلا فعليه أن يبادر بالتغيير ومن طأطأ رأسه في البداية للريح فلن يرفعها أبداً .

لقد بذل الغرب دماءه وعقول أبنائه ومقدرات شعبه والشعوب التي استعمرها لينتج لنا حضارة مادية قائمة على الاحتكار والمصالح بعيدة عن القيم والمثل ولا يسمع فيها صوتُ الضمير كما نزعم ولا لجوعى أفريقيا أو آهات نساء فلسطين، وما ذكرناه في هذا البحث عن استراتيجيات توضح هذا المفهوم ، فلقد ولدت وسائل الإعلام وفنونه في الغرب واستقبلناها بأفواه فاغرة وقلوب فارغة فملئت قلوبنا حباً للغرب من خلال أفلامه وبرامجه وسادت من خلال إذاعاته وأخباره واحترفنا الاستهلاك فسهل عليهم الاحتكار.

وعندما خرجت جيوش المستعمر بقي فكره وثقافته في التعليم والإعلام والسياسة والاقتصاد فأنتج ذلك مجتمعاً يبحث عن هويته شرقي الشكل غربي الاتجاه ، وتكتل المستعمرون في معسكر الشمال وبقي المستعمَرون في معسكر الجنوب .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

شمالاً يملك المال والتكنولوجيا وفكراً يرغب في نشره في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية ، وجنوباً مستهلكاً يبحث عن هويته بعد أن تخلى عن ماضيه وتاه في حاضره .

لكن هل كل شيء كما خططوا سيكون ؟؟ الجواب "لا" فهناك مكرهم وهناك مكر الله والله خير الماكرين . لذا وجب علينا الدفع والتوكل على الله والخروج من دائرة التواكل والركون إلى ما اقتنعنا به بأننا أقل من القدرة على التغيير ، يومها سنغير ولا نتغير وسنزرع الدنيا حباً وإيماناً بعد أن زرعها الغرب إلحاداً وفساداً .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة